الى القارئ

« إني أرى من واجبي الوفاء الى أرواح ابن رشيق وابن شرف وابن هانيء وابن خلدون والشابي في هذه البلاد التي خلدوا فيها بمآثرهم روح الحضارة العربية والفكر العربي ٠ أرى من واجبي المحافظة على ما بذروا من صالح الغرس ، لأني بدمي وجوارحي ووراثتي وعقلي أشعر بتضامني مع الاجيال الماضية من أمتي وأراني خائنا لهم غادرا بهم إذا أنا انصرفت عن روحهم الذي به كانت هذه الأمة أمة وبه انتسبت الى الجماعات البشرية التي تستحق الحياة ولها على الحياة حقوق ٠

وما راحتي وما سعادتي العائلية وشؤوني المنزلية الى جانب واجبي المقدس ؟ إني أرى بعضهم لا يمدون أيديهم الى خدمة الادب إلا إذا أغدقت عليهم الأموال وهيأت لهم الأجهزة المادية الكاملة ٠ أما إذا كانوا عزلا عن ذلك فهم يكتفون بالتشاكي والتباكي ويقولون : من للأدب ومن للثقافة بهذه الربوع ؟ وأنا مؤمن بأن العزم يكسر الحجر كما نقول ـ أو يقلب الجبال كما يقول الانجيل ٠ ولقد دخلت معترك الأدب أعزل وبذلت فيه جميع قواي الجسدية وجميع أوقاتي وإمكاناتي المالية ٠ وما أنا مان على أحد ٠٠٠ ولا على شيء ٠ وإنما أريد أن أقيم لنفسي أولا ولغيري ثانيا الدليل على ان خدمة الادب في هذه الربوع ممكنة على شدة مؤونتها ومشقتها ولو قامت على كاهل فرد أو بعض أفراد ٠٠٠ بشرط أن يكون ذلك الفرد أو أولئك الأفراد القليلون أدباء حقا ، أعني مقتنعين بأن الأدب والتضحية لا يفترقان » ٠

يصعب أن نضيف شيئا الى هذا البيان الصادق الذي عرف فيه ـ منذ حوالي ربع قرن ـ المرحوم محمد البشروش مؤسس مجلة « المباحث » وأحد رواد النهضة الأدبية بهذه البلاد حقيقة الأديب ومسؤوليته وأكد معنى التضحية وروح البذل اللذين يلازمانه دوما ٠ وحسبنا ان نورد هذه الشهادة المؤثرة ، عبرة للشباب وشاهدا على ما لم نزل نلتزمه وندعو اليه منذ أكثر من اربعة عشر عاما ، ودعوة الى بعض « الأدباء » ٠٠٠ حتى يكبحوا جماح « واقعيتهم » ويراضوا أنانيتهم ويهتدوا الى المثالية وتجاوز الذات ! « وما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل » ٠

الفكر

خبر مدينة النحاس

بقلم : أبو الحسن

تدق الطبول وتختلط أطباق النحـــاس
ضربا مُوَقَّعـــا .
وتتكَمَّش لهـــا وجـوه السَّامعين
ثمّ يترنَّـح الجميع في وقفتهـم استعـدادا
للحُلـمْ .
ويتجـوّل القصّـاص في السَّـاحَة يُـكَيِّـف
هدوءهـا ليدخـل الخـرافـة
خـرافـة خبـر مـدينـة النُّحــاس
ويقـول : كـانـكـم مـا كـان :

كـان سلطـان لـه سبعـة أولاد ذ كـور .
وشـاخ السلطـان يـومـا واتصل به وحي القبـور
وراجعتـه بطـالـة دمـاغـه ارادة قـويـة يـابسـة
في إقـــامـة أعمـال شـاسعـة .
ونـام ليلتـه على تلـك الارادة فانقلبت في دمـاغـه
أحـلامُــه وانْقَسَمَتْ
جنـــازات . جنـــازات
يصحبهـا تهليـل عظـام القبـور
وأنـوار المقـابـر
وتعنت الحفَّـارين على الارض
وطـار في دمـــاغـه آذان محتـرق

جـائـع مختنـق
فـانـدلـع يقظـة وضرب في يـديـه وصـاح :
آتـونـي بـالصّبّــاح

* * *

وجـاءه الصّبّــاح وصـاح :
آتـوني بـالجنــازة .
فضربت كلمـة الجنـون كـلّ حيطـان القصر
ورجعت إلى السلطـان تُصلـح شفتيـه
حتّى قـال : آتـوني بالامـراء .
فـأوتي بهـم واوقـّع عليهـم ارادتـه :
« زفـافكـم غـدا . »
فـاحتلهـم الابتســام حتّى تمـدد منهـم
وسـار في القصر هـزجـا وتهليـلا .

* * *

وأبـى السلطـان على نفسـه النّـوم
وأكـل نـوم جـواريـه سلـوى
ثـمّ جـاءه صبـاح الـزّفـاف بعد الحـاح أليـم
وانتشـر الفـرح في كـلّ أهـل القصـر
وتجمـّع اليـه عنـد دخـول الازواج
واتصـال البعض بـالبعض
وغـار الفـرح في سمعـه
وعـــاوده تهليـل عظـام القبـور
وتعنت الحفـاريـن على الارض
وطـار منـه أمـر ردّه إلى احـلامـه :
« احـرثـوا أزواجكـم وسـأزرعهـنّ »
وعـاودت حيطـان القصر كلمـة الجنون ضربـا

وغاب القصر عن السلطان
فدخل نوما فارغا ثقيلا كالدوار
واوقعته الدورة الاخيرة
على ساحل بحر أسود كشعر بنات القيروان
ودارت له في البحر عيون تشعّ سوادا
وقام فيه نهيق حمار تفرقع في دماغه
فوقف يابسا لَوْحًا وصاح في وزيره
« اقتلوا حمير الوطن كلّها
واقطعوا حلوقها واملؤوها
اجّاصًا وترابا
ولوّحوا بها في البحر الاسود . »

* * *

وجاءه أولاده فامرهم :
« آتوني برؤوس أزواجكم
مقطوعة مخضبة . »
وانحنى الاولاد تحت شظايا السلطان
إلاّ ابراهيم أصغرهم .
فقد عاودته لذّة البارحة تنشط لها عروقه
ويذوب عن بصره أبوه في رعشة لحم زوجته
ثمّ جرّب الخدعة فابتسم وانحنى .

* * *

واقتطع الامراء الستة
رؤوس ازواجهم وتقدموا إلى أبيهم
ولم ير السلطان ابراهيم
فعاود دماغَه نهيق الحمار في البحر
ويَبِس مَوْتًا .

* * *

تدق الطبول . ويختلط النحاس
وتترجرج ظهور السّامعين نَملاً

« هي الآن أحدوثة ابراهيم »
ويلوّح القصّاص بنظرة على السّامعين
فيراهم مستبسلين . فيأمر أن يلح دقّ الطبول
حتّى عاد النّاس إلى جلدتهم
وكان ما كان . ويعود القصّاص إلى القصّة
نافضاً عينيه عُجبًا :

* * *

« ونام ابراهيم وزوجته وسيفه وخادمته
في قصر من مدينة وقعُوا فيها هربا .
والقصر خلاء . لم يمت في أثاثه حرّ اللّمس
ولا النَفَس البشري .
بل رسخ على كلّ شيء كما تتمرّد الروح
عندما يموت عنها الجسد قَسْرا

ولم يأت في سمع ابراهيم اللّيلة الاولى
سوى هدير متقارب من احلام السلطان
وملأ ابراهيمَ الهدير حتّى قام في الصّباح
زاخرا .
وخرج إلى المدينة وجال
ولم يلق نارا ولا انسا بل صمتا وطنينا .
وَعاود السّير فيها على السطوح حتّى أكله العيّ
وكان يصحبه سيفه .
ثمّ رأى عن بعد بعض المئات من السطوح

دخانا متلعثما لا يذوب .
فقفز اليه قفزات جائعة تريد الأُنس
حتّى وصل ونظر من السَّطح فرأى عجوزا
تحضر طعاما كثيرا وقد طلعت في وجهها
نار الحطب
ورأى شفتيها فارتعش سَمْعُه

* * *

وتنفَس يقول : « أمِّي الكبيرة»
فرفعت العجوز وَجْهَها وفمها وقالت :
« بشر هنا ! إنْس ؟
ماذَا تصنع ياابن السلطان »
فنزل ابراهيم .
واذا دَمْدَمَةٌ تَنفُثُهَا أرض الدّار
وتترقرق وترتعد العجوز وتدك ابراهيم في مخبإ .
وتعاود الطبخ وتعلو الدّمدمة
وتتقلقل في عروق العجوز
ويدخل سبعة أَوْهَامٍ
كاشباح السعالي
ويرتمون على الطّعام لَمّا .
الا أصغرهم
فقد دار شمه في الدّار وقال :
« أمِّي الكبيرة في الدّار واقع »
فقالت العجوز : « لا يابنيّ الواقع أنا . »
بل أنتِ وهم مثلنا يا أمِّي الكبيرة
قالها وادار شَمَّه من جديد في الدّار

حتَّى التصق منه في كلّ جدار
ودخل بعضه وتبخر في مخبإ ابراهيم
حتَّى ثقل عليه فوق جلدته يتلبَّد
وفي دماغه يختلج
فخرج في سيفه واعترته الاوهام الستة الاولى
في عيون متسعة كالبحار السود
ومزّقها السَّيف . وشرد عنه الوهم الاصغر
فجرى عليه يقطع منه أشلاء حتَّى ضعف
وغار
في بئر عميقة .
ثمّ عاد ابراهيم إلى العجوز واخذها من دار الدمدمة
إلى بيت يعيش فيه حرّ الإنس وطلب اليها خبر
المدينة .
فقالت العجوز :
هي مدينة النحاس سوف تلقى قصتها
كلّ يوم ..
فقد أكلت قومَها الاوهام الَّتي قَتَلْتَ .
فاسكتها وعانقها ثمّ خرج ليلقى
زوجته .
وبثها قصّته . فارتعد لحمُها عند سقوط
الوهم الاصغر في البئر العميقة
ونامت نوما سحابا قطنا لذيذا
وقد اندك رأس ابراهيم في صدرها
راحة ونوما وأنسا .

* * *

وقام في نوم الزّوجة الخفيف صباح سريع

وهزّت نفسها إلى المدينة تدور
قلقا ولهفة وجوعا .
ولم تر آبارا
وتدور وتدور في نفسها وفي المدينة
وفي قلقها تريد الوهم الّذي غار في البئر
حتّى خوى صدرها وفرغت منها العظام
وفشلت أعصابها ولم تر آبارا
فقد استوت الارض في عينيها
حتّى أخذها الدوار وقرعت في دماغها
الحيطان وقعا قنا وعنتا فناء وصخرا عناء
ودارت الارض في دماغها ورابت
واحتوى الحيطان وبرٌ مثقوب
وتحرّكت في لعاب فمها سهام
حتّى تراجع منها اللعاب وابيضت
عيناها وسقطت على الارض
على شفا بئر عميقة
يلمع ماؤها بُعْداً وَهْمًا
وسمعت زفير الوهم الاصفر
فرجعت إلى نفسها كأنّها لم تكن
ورمت إليه حبلا متينا
فانقلب إليه الوهم غولا وصعد
فملات بصرها من وهمه الغزير
وقلبها من وجهه العسير
ولحمها من نَفَسِه المرير
وساقته إلى وحشتها

بينما كان ابراهيم غيبا عنيدا
يطلب خبرا شاردا
ويزرع سؤاله في كلّ مكان
* * *
ولذّ لزوجته الغول ليلا ونهارا
تُوفِي ابراهيمَ ابتساما جزيلا
والغول عروقا ولحما حتّى كرهت زوجها
وطلبت من غولها موت ابراهيم .
* * *
وخاف الغول
ثمّ اراد وارتد ورفض واحتدّ
حتّى اكله الحافها واشتدّ
واشتبكت الحيل وخابت
واصطدمت بحبّ ابراهيم لزوجه
حبّ اليقين للقلوب .
حتّى أوحى الغول إلى الزّوجة
ان تسأل ابراهيم خبر مدينة النحاس
ودان لها ابراهِيم واندلع في الخلاء
يسأل الجدار والباب والهواء والرّيح
والسهل والغاب والارض والسَّماء
ويسائل الصمت والنَّخيل
وزوجته تآكل الغول جسدها
ودماغها الشَّارد في بحرها الاسود
وابراهيم يدور فيه السؤال
عن خبر مدينة النحاس
* * *

ويقع ابراهيم إلى نهاية المدينة ويدك نفسه
في غار يطلب الوحي والقرار وأهله والمستقبل
حتّى تحتدّ فيه عروقه ثمّ تعلوها سحب وتشتبك
وتقع منها نخلات ثلاث مزروعة في عينيه
تدعوه أن يسألها
وقد انفَصلت عنه عروقه تعبا وضنى
وشوقًا إلى يقّين الخُبر
وبقي كالسؤّال
كالسؤّال المتعنت المرتعش

* * *

وتولّد عن نخلة من النخلات الثّلاث
طير يحمل مفاتيح في منقاره
ويُوحىَ إلى ابراهيم أن يقتل الطّير
لتفتح في وجهه الابواب
وتوجس وتردّد حتّى ابتلعته الارض
حقدا
إلى حدّ ركبتيه
حتّى راجعه العزم على اليقين
واسقط الطّير والمفاتيح
فلقي بصره بابا عريضا
دُكّ فيه نحاس قوى لامع يضيء
الدنيا ككبريت المقابر

* * *

ويفتح الباب فيضربه بَاب جَديد
فيفتحه حتّى ضربته أبواب سبع
التأمت وراءها جثث مستحيلة البعث

ورأى إلى يمينه بهوا كأنَّه بيت صلاة
فقد ماتت الجثث على دين حنيف
وفطست أنوفها على المحراب
ايمانا
ويتثاءب ابراهيم
ويوحى اليه انَّه يسمع من يقول :
« جارت على المدينة من نفوس أهلك
أوهام سبعة
امتصت ماهية اهلك الزاحفة
حتَّى دَلِهُوا ووقعوا إلى ظهورهم
ولم يبق غير رجل عقل وعلم وشعر
ازعجت ثورته الاوهام
ولما أحاطت به قسرا ابى
وانقلب طيرا
واقفل على الجثث أبوابا سبعة
قتلا للاحدوثة
فدونك يا ابراهيم الجنون أو المحراب
والرّاحة
أو دونك العقل والعلم والشعر
واليقين والحياة »

وتقلَّص ظلّ الصوت .

وقامت ريح نتنة . فاندفع
ابراهيم يفتح الجثث فتحا
حتَّى بخَّر الرّيح النتنة
وتبخَّرت أوهامه

ومــاضيـه ، مـاضي السلطـان والـزّوجـة

* * *

وجـرى إلى العجـوز، إلى أمّــه الـكبيـرة
مقطّــع الاوصــال
ووقـع إلى نوم ثقيل كـأكـداس ليـاليـه المـاضيـة
إلى صبـاح اليـوم الثّـالث
والعجـوز لهـاث وحيـرة
حتّى تـكلّـم فقــال :
« أَ . بَ . تَ ابتدأ الـكون »
فيستقيـم ظهـر العجـوز
ويـدقّ النحــاس ويحـل المضـارع

أبو الحسن
1947

في لغة الشعر العربي

بقلم : البشير بن سلامة

لقد بينت فى مقال سابق (1) أن الذى يفرق بين الكاتب والكاتب ليس هو الأسلوب فقط بل أكثر من الأسلوب هو بناء للغة جديد ينفرد به الخلاق الحق ويسن من جرائه نمطا جديدا تتبارى فيه الأقلام بشتى الأساليب وعديد الظلال ·

ويظهر هذا جليا فى باب الشعر إذ لا يمكن أن يبز الشاعر الشاعر إلا بقدرته على بناء اللغة (2) بناء جديدا يعتمد على نوع من « كيمياء الكلمة » ويستجيب حتما الى طبيعة الشعر الخاضعة الى نوع من الموسيقى والايقاع واللحن والتوافق والقافية وغيرها من الخصائص التى لا يكون الشعر شعرا إلا بها ·

وإذا كان أهل الاختصاص بالنسبة للشعر الفرنسى وصلوا بطرق علمية أو تكاد الى التفريق بين الشعر الحق وبين النثر الشبيه بالشعر وذلك بالاعتماد على ما يسمى بـ Le Nombre d'or واستعمال مضاعف انتوفن (Galvanomètre d'Einthoven) فان أهل العربية وجدوا أنفسهم أمام ظاهرة غريبة قديمة وهى استنباط أبنية قارة للشعر تتمثل فيما يسمى بأوزان الخليل · ونحن لا نعلم سر اختيار العرب للبحور المعروفة ولكنه من واجبنا أن نسلم بأنهم ضيقوا على أنفسهم تضييقا كبيرا حتى أنه يمكننا أن نحصر أبنية الشعر العمودى فيما يقرب من 67 بناء ·

---

(1) راجع مقال : الأسلوب واللغة أو كيف نكتب التجاوز ـ مجلة « الفكر » العدد السادس مارس 1969 ·

(2) إنى عندما أتحدث عن اللغة افترض أولا أن يكون الأثر قد امتاز من حيث الفكرة والخاطرة والصورة والخيال بالجدة وإلا فلا مجال للحديث عن الشكل اذا كان المضمون تافها خاصة وأن الذى جرنى الى مثل هذه الاعتبارات هو ما وجدته فى بعض من يكتب باللغة العربية اليوم من اهتمام بالمضمون فقط وغفلة عن قيمة الشكل ·

فالمسألة ليست راجعة الى التفعيلة فقط بل هى ترجع الى الوزن بأتمه ٠ فالبحر الطويل مثلا بما فيه من تفريعات (ثلاث) يمثل ثلاثة قوالب جاهزة يتبارى فيها الشعراء ٠ ولقد حاولت أن أنظر فيما غربله التاريخ من قصائد عربية ثبتت خاصة لما فيها من موسيقى موفقة واكتمال بنائها الشعرى فوجدت أمرا غريبا ٠ إن الوزن الواحد يقول فيه الشاعر المتقدم فى الزمن ويأتى من بعده محاولا استكماله فنيا فاذا اتفق لأحدهم أن يستفرغ ما فى ذلك الوزن من طاقات إيقاعية وموسيقية فانه يغلق الباب على غيره وينتهى أمر ذلك الوزن ٠ ويصبح كل شاعر يصوغ شعره فيه مقلدا وظلا لغيره ٠ خذ مثلا وزن الطويل وعروضه مفاعلن وضربه مفاعيلن تجد ثلاث محاولات كبيرة ٠ أولاها قصيدة أبى نواس :

ألا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ولا تسقنى سرا إذا أمكن الجهر

ثم قصيدة ابن الرومى :

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى فجودا فقد اودى نظيركما عندى

ثم أخيرا قصيدة أبى فراس :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

ولو تمعن القارىء فى قصيد أبى فراس لوجد أن التزام بعض الزحافات فى الحشو واختيار القافية وتجانس الحروف وتناغمها كل هذا أعطى للقصيد إيقاعا ولحنا وموسيقى متناهية فى السبك والصياغة ٠

وبعدها انتهى أمر هذا الوزن وكل شاعر ينزل للمغامرة فيه انما يعرض تجربته للفشل ٠

مثال آخر لقصيد أبى تمام فى بحر البسيط الذى عروضه فعلن وضربه فعلن :

السيف أصدق إنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

وهو الذى سار على ألسن الناس حفظا وتقليدا ٠

ثم جاء بعده أبو فراس فقال :

أوصيك بالحزن لا أوصيك بالجلد جل المصاب عن التعنيف والفند

فلم يزد شيئا ٠

كذلك وزن البسيط الذى عروضه فعلن وضربه فعلن فقد تبارى فيه الشعراء حتى جاء ابن زيدون وأغلق باب النظم فيه بقصيدته :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينا

ويمكن أن نمضى فى الامثلة الى حد بعيد ونقر هذه الظاهرة فى الشعر العربى التى يدعمها فى ظنى مفهوم المعارضة فى الشعر عند العرب وهى ظاهرة لا نجدها فى الشعر الاجنبى ٠

ذلك أن الشعراء العرب اذا هم ظفروا بنموذج كامل فى وزن من الاوزان وآمنوا بأنه لا فائدة فى الصياغة فيه بقافية أخرى انضموا الى الذى نبغ فيه وباتوا يعارضون قصيدته ٠ فعارضوا مثلا قصيدة ابن زيدون : أضحى التنائى وقصيدة الحصرى : يا ليل الصب وغيرها ٠

لذا فانى أميل الى الاعتقاد بأن كل وزن من أوزان الشعر العربى لا يمكن أن تستكمل فيه العدة الفنية إلا مرة واحدة اذ هو لا يحتمل أكثر من قافية واحدة تقد على قده ذلك أن القافية تتحكم فى نوع الحروف وموسيقاها وقديما قال الخليل بن أحمد عندما سئل عن أشعر بيت عند العرب : « البيت الذى يكون أوله دليلا على قافيته » ٠

ومعنى هذا أن الخليل وهو الذى فهم الفهم الصحيح ما يقتضيه الوزن يرى إن أحرف البيت الواحد يتجانس بعضها مع بعض فى القبح أو الجمال ٠

وقد قال إليوت :

« إن موسيقى البيت ليست مسألة تخص البيت الواحد بل تتعلق بالقصيد بتمامه » هذا بالنسبة للشعر الذى يعتمد على المقاطع فقط فما بالك بالشعر الذى سجن فى الأوزان ٠

لهذا أطرح هذا السؤال : هل يمكن أن نجد فى الشعر العربى العمودى القديم والحديث 67 قصيدة مختلفة الوزن من نوع « يا ليل الصب » و « أضحى التنائى » فى اكتمال روعتهما الفنية ؟

أترك الجواب للقارىء الكريم للبحث فى هذه المسألة ٠

غير أن شعراء الأندلس القدامى ضاقوا بهذه القيود من جهة وغرقوا أيضا فى محيط ، الحياة فيه غير شبيهة بحياة المشارقة فهى تعطيهم ألوانا من الموسيقى والايقاعات لم يعرفها أهل العربية قبلهم فشقوا طريقا آخر فى الشعر عددوا به أبنية الشعر العربى رغم محافظتهم على البناء الاصلى ٠

فهم فى حقيقة الامر لم يتلاعبوا بالتفعيلة بل تلاعبوا بالقافية وفكوا أنفسهم من أسرها بدراية كبيرة جعلتهم يدخلون على 67 وزنا المعروفة أبنية جديدة منغمة لا تخرج فى غالبها عن عبقرية العربية رغم تطعيمها بعناصر أجنبية ٠ فكانت التجربة موفقة الى حد بعيد ٠

ثم وقف الاستنباط الى هذا الحد حتى ظهر ما يسمى بالشعر الحر وطغا على الشعر العربى فى أيامنا هذه • وإن لى فيه رأيا أعرضه على القارىء الكريم : ذلك أنى عندما قرأت الكثير من هذا النوع من الشعر قسمته الى قسمين :

ـ قسم موسيقى موفق فى جملته •

ـ وقسم متعثر لاهث متقطع الأنفاس لا يمكن نسبتـه الى الشعـر بل الى ضرب من الكتابة يتحسس وجـوده ويبحث لنفسـه عن مكـان بين الشعـر أو النثر •

فالقسم الاول المنغم يمكن ارجـاعه بسهـولة الى الشعـر العمـودى أو الى الموشح • خذ مثلا قصيد « لـو » لنزار قبانى تجد ان جميع المقاطع تعد ست تفعيلات من الرجز مع جوازاته وقافية واحدة • ولو حشرت كل مقطع فى بيت واحد لجاز ذلك • أو خذ قصيد « الى وشاح أحمر » أو غيره تجده قـريبا من صياغة الموشح لذا أعتقـد أن **الشعر الحر الموفق** لم يخرج عن البادرة التى قام بها الاندلسيون فى قديم الزمان •

وبعد هذا يقول القائل ماذا بقى للشعراء الذين يشقون دربهم فى عالم الشعر اليوم ؟ أقول إن المجال فسيح أمامهم لأن لهم :

ـ **أولا :** ما بقى من أوزان الشعر العمودى التى لم يستكمـل فيها الشعـراء القدامى العدة الفنية •

ـ **ثانيا :** باب الشعر الحر ربيب الموشح •

ـ **ثالثا :** إيجاد أبنية جديدة مستنبطة من مقاييس موسيقية موجودة فى الشعر العامى وفى المحيط الذى يحيونه غير خارجة عن عبقرية اللغة العربية • وهذا أصعب من المجال الأول والثانى ويتطلب قدرة وموهبة جبارة ولا يتأتى إلا للقليل القليل •

هذا رأى فى لغـة الشعـر العـربى أعرضه على القـراء الكـرام للمناقشة والبحث (*) •

البشير بن سلامة

(*) **ملاحظة :** إنى أهيب بالشعـراء أن لا يظنـوا أنـى أدعـوهم الى نـوع من النظم ولكن التحليل يفرض على هذا التقنين • والشاعر الشاعر هو الذى يتدفق شعره من دون أن يلتفت الى المقاييس والاوزان ولكنه قبل ذلك من واجبه أن يكون مستوعبا لجميع ألوان الموسيقى والايقاعات المحيطة به ولا يقصر سمعه وشعوره على تجربة واحدة ونوع من بناء الشعر واحد •

بين هامة ونملة
او
بين القوة والحكمة

شعر : احمد المختار الوزير

جَثَمَتْ تَطْوِي جَنَاحَيْهَا   عَلَى الصَّخْرِ وَتَنْشُرْ
هَامَةٌ كَالنَّسْرِ . قَالَتْ :   تَنْفُشُ الرِّيشَ ، وَتَنْقُرْ
أَنَا اعْصَارٌ يُدَوِّي   قَاتِمُ الآفَاقِ . أغْبَرْ
أَنَا مِنْقَارٌ رَهِيفٌ   أعْقَفُ الحَدَّيْنِ ، أحْمَرْ
فَهْوَ نَابٌ قَاطِعٌ يُدْمِي   وَظُفْرٌ يَتَظَفَّرْ
هَكَذَا ظَلَّتْ ، تَجَافَى   وَبِنَحْسِ الْوَيْلِ تُنْذِرْ
هَكَذَا ظَلَّت ، على الصَّخْرِ   بِصَوتِ الْبَأسِ تَجْهَرْ

* * *

سَمِعَتْهَا نَمْلَةٌ تَسْعَى ،   مِنَ الذَّرِّ ، وَأَصْغَرْ
فَأَجَابَتْهَا بِنُصْحٍ ،   وَبِعَقْلٍ مُتَحَذِّرْ
اذْكُرِينِي ، وَاذْكُرِي انِّي   بِمَسْعَايَ الْمُؤَزَّرْ
أَجْمَعُ الْقُوتَ لِيَوْمِي ،   ثُمَّ أُبْقِي مَا سَأَدَّخِرْ
اذكري صَمْتِي ، فَصَمْتِي   حِكْمَةُ الْجَهْدِ الْمُظَفَّرْ
وَاذْكُرِي مَنْ كَانَ أَعْمَى   كَيْفَ يَحْتَاجُ لِمُبْصِرْ

ا٠ م٠ و٠

حول التراث العربي بتونس

في مائة عام (*)

بقلم : ابو القاسم محمد كرو

تمهيد :

فى تاريخ تونس بل والمغرب العربى تراث حافل بالابتكار والنبوغ ملىء بشتى الوان المعرفة ومختلف الرجال الذين صبوا عبقريتهم وحياتهم فى مؤلفات فائقة فى العلم والفلسفة وفى التاريخ والادب على اختلاف ضروبه والوانه .

وكثيرون هم الذين يجهلون تماما الجهود العظيمة والمساهمات الكبيرة التى بذلها ابناء المغرب العربى فى حقول الحضارة الاسلامية والثقافة العربية ، منذ ظهر الاسلام كعامل حاسم فى حياة وتفكير شعوب المغرب العربى ، هذا فضلا عن جهودهم فى تراث وحضارات ما قبل الاسلام .

وجهود ابناء الشمال الافريقى هذه لا تقل اهمية ولا امكانة او قيمة عن جهود ابناء الشرق العربى سواء فى الفلسفة او فى الادب او فى غيرهما من حقول المعرفة الانسانية . غير ان ابناء الشرق المعاصرين قد نهضوا باعباء الواجب نحو تراثهم الفكرى والحضارى ونحو الرجال الجهيرين من اسلافهم ممن اسهموا فى بناء التراث وتقدم الحضارة ، ثم لم يقفوا عند حد جهودهم الخاصة بل اضافوا اليها ما ترجموه من جهود الغربيين وخاصة المستشرقين الذين لم يبذل جيل من اجيال العرب الاحياء ما بذلوه فى احياء التراث العربى الاسلامى وتدعيمه بالدراسات والبحوث المتصلة المستوعبة لكل جانب وحقل من جوانب وحقول الثقافة والحضارة العربية الاسلامية .

وبالطبع فان جهود المستشرقين لم تكن خاصة بالجانب الشرقى من تراث العرب بل كانت شاملة تراثهم فى المغرب العربى وصقلية والاندلس باعتبارهما امتدادا للثقافة والحضارة العربية الاسلامية فى عصور طويلة معروفة .

(*) بحث قدم الى مؤتمر ادباء وكتاب المغرب العربى المنعقد بطرابلس الغرب ، بين 15 – 21 / 3 / 1969 .

ولا أبالغ ان قلت : ان جهود المستشرقين الفرنسيين والطليان والاسبان تكاد تنحصر فى الجناح الغربى من العالم العربى بما كان يتبعه قديما من الجزر والضفاف الاوروبية ، وذلك لاسباب تاريخية وجغرافية وسياسية معلومة ٠

وقد اعتنت المؤسسات التجارية والثقافية فى الشرق كما اعتنى الاشخاص المثقفون بجهود المستشرقين على اختلاف لغاتهم واتجاهاتهم ، فنقلوا الى اللغة العربية ذخائر كثيرة من جهود المستشرقين خاصة منها ما كتبه الانقليز والفرنسيون والالمان ، وبدرجة اقل ما كتبه الاسبان والطليان ٠

غير ان ما نقل من جهود المستشرقين قد كان اكثره ، اما عاما بالحضارة والثقافة الاسلامية العربية او خاصا بجانب من جوانبها فى الشرق ٠ وباستثناء عدد قليل من الكتب والمترجمين المعنيين بتراث المغرب العربى ، مثل الاستاذ محمد عبد الله عنان والدكتور حسين مؤنس والدكتور احسان عباس ٠٠٠ فان معظم الكتب المترجمة ليست لها علاقة بتراث المغرب العربى وتاريخه اولها علاقة عامة ذات نطاق ضيق محدود ٠

ومما يلاحظ هنا ان كثيرا من الكتب المترجمة فى الشرق ـ لا سيما تلك التى يتولاها مترجمون محترفون ـ تأتى فيها الحقائق مشوهة أو مبتورة أو محرفة ، وقلما يتفطن لها المترجم المشرقى لان معلوماته وخبرته بتاريخ المغرب وجغرافيته وتراثه ورجاله محدودة جدا ٠

وما يقال عن الكتب المترجمة يقال ايضا عن الكتب المؤلفة فى الشرق حول تاريخنا وثقافتنا واعلامنا فى كل حقل وفى كل ميدان ٠ فكثير من هذه الكتب محشو بالاخطاء والتشويه ، ومملوء بالاحكام المرتجلة والآراء المخطئة ٠ ولئن كان البعض تعوزه البضاعة والخبرة اللازمة لموضوعه ولا يستند الى مراجع ومصادر كافية ، فان البعض الآخر تتوفر لديه ـ بحكم موضوعه او تخصصه ـ كل الامكانيات ، ومع ذلك فهو يميل الى السرعة والارتجال اكثر من ميله الى العقل والعلم وامانة البحث والدرس ٠

والواقع اننا بقدر ما نعتب على هؤلاء عدم تحريهم للحقائق وارتجال الآراء والاحكام ، وميلهم مع الهوى احيانا ، بقدر ما نلوم انفسنا ـ نحن ابناء هذه البلاد ـ لما نحن عليه من تقاعس واهمال وعزوف عن البحث والتاليف ، لاظهار محاسن ماضينا وذخائره وكنوزه ، وما كان فيه من اعلام افذاذ فى كل فن وفى كل علم ٠

نعم ٠ لقد بذلنا جهودا كثيرة ، ومحاولات عديدة منذ منتصف القرن الماضى الى اليوم ٠

ولكننا حين نستعرض جهود اقطارنا المغربية الاربعة ، فى ميـدان نشـر التراث والترجمة ، ونقارن بين ما انجزناه فعلا وبين ما نطمح اليه ، او بينها وبين امكانياتنا الحقيقية ، او بينها وبين ما يملأ مكتباتنا المغـربية والمكتبـات العالمية من آلاف مؤلفة من كتب التراث او كتب ألفها الاجانب عنا وعن تاريخنا وحضارتنا وتراثنا ايضا ... ندرك أننا ما زلنا بعيدين جدا عن اهدافنا المثلى وعن الغايات الواجب علينا تحقيقها .

لا شك ... ان عهد الاحتـلال الاجنبى لاقطـارنا ، وما كان يزخـر به من اضطهاد وتنكيل وتجهيل ، ومن محاولات متصلة لمسخ شخصيتنـا وصـرف شبابنا ومثقفينا عن تراثهم وماضيهم ، بل وحتى عن لغتهم .. قد كان ذا اثـر جهنمى فى تخريب كل الجهود وتثبيط كل الهمم وانصراف كل الطاقـات الى المقاومة وتحرير الوطن ، مما جعل النهضة الفكرية ـ لا سيما فى ميدان نشر التراث ، ودراسته ـ امرا ثانويا يتحدث عنه الكثيرون لبعث الشعور القومى وزرع الاحساس الوطنى اكثر من اى شىء آخر .

اذا كان هذا كله صحيحا ، وكانت له بالامس ظروفه القاهرة ، فان عهـد الاستقلال والسيادة الوطنية ، يتيح لنا اليوم الفرصة كاملـة فى كل اقطـار المغرب العربى ، لا للاهتمام بتراثنا واحيائه فقط ، بل ولترجمة نفائس الكتب التى كتبت عن بلادنا وتاريخنا وتراثنا بالخصوص .

لقد جمعت ـ خلال السنوات القليلة الماضية ـ ما يقرب من مائة كتاب تناول فيها اصحابها الفيلسوف العظيم **عبد الرحمن بن خلدون** ، فلم يكـن فى هـذه المائة كتاب سوى ثلاثة او اربعة كتيبات مغربية ، عن هذا الرجل الذى ما فتح مغربى فمه الا افتخر به .

وجمعت مثل هذا العدد من كتب ودراسات عن شاعرنا الذى نكاد لا نفتخر بسواه ، اعنى **أبو القاسم الشابى** ، فلم يكن بينها ايضا سوى نسبة قليلة من الكتب المغربية .

اما اذا تجاوزنا هذا الستار العاجى الذى ضربنـاه حـول عقولنـا باسمى **الشابى وابن خلدون** ، فاننا لا نجد اى شىء يذكر لا سيما فيما يتعلق بتراثنا واعلامنا السالفين .

والحق انه لولا جهود عدد من الرواد النشيطين الذين قاموا ـ اعتمادا على امكانياتهم الخاصة ـ بجهود عظيمة للغاية ، كل فى قطره وحسب ظروفه ، لولا جهود هؤلاء الرواد ، لما كان هناك شىء ذو اهمية على الاطلاق .

ويطيب لى هنا ، ان انوه بهؤلاء الرواد بل باهم الاسماء التى جاهدت جهاد الابطال من اجل احياء امجادنا العلمية وبعث كنوزها ، ونشر ذخائرها ٠

وفى طليعة هؤلاء البحاثة العلامة الاستاذ **عبد الله كنون** ، والمرحوم الدكتور **محمد بن أبى شنب** ، والمرحوم العلامة **حسن حسنى عبد الوهاب** ، والاستاذ الاديب **على مصطفى المصراتى** (1) ٠

فهؤلاء بالذات قد قدموا جليل الخدمات وابرزوا النبوغ المغربى فى نفائس المخطوطات التى نشروها والدراسات القيمة التى كتبوها عن تراثنا وتاريخنا واعلامه الفائقين ٠

ولئن كان ابن أبى شنب غير متقيد بتراث الجزائر وحدها ولا بتراث المغاربة دون سواه ، فانه قد ترك من الآثار الهامة والمنشورات العالية ما كان به رائدا ومستحقا لكل تقدير واكبار ، وهو الى ذلك قد تميز عن رفاقه بكونه اضاف الى جهوده العربية الشاملة جهودا هائلة اخرى ، وهى تعريف المستشرقين والقراء الغربيين عامة ، بتراث العرب ، خاصة منهم المغاربة ، عن طريق الفرنسية التى نقل اليها كتبا كثيرة من تراثنا القديم ٠

والواقع ان ميدان التراث فى حياتنا العلمية والادبية ، يشكو قلة الافراد المتخصصين فيه والمنصرفين بجهودهم اليه ، فبينما نجد الشعراء والادباء والفقهاء والعلماء بالعشرات ، نكاد لا نجد - فى ميدان التراث - الا افرادا يعدون باصابع اليد الواحدة فى كل قطر من اقطارنا المغربية ، وهذا هو العامل المباشر فى قلة انتاج المغاربة فى هذا الحقل ، مع **ان اكثر من نصف كتب التراث العربى فى العالم كله هو انتاج مغربى** ، سواء تم انتاجه فى ليبيا أو تونس أو الجزائر أو المغرب الاقصى أو الاندلس وصقلية فى عصورها الاسلامية ٠

ولست ممن يدعى الاختصاص او الدراية بهذا الميدان ، ولكن لدى بعض الملاحظات والمعلومات الخاصة بوضعية تراثنا فى تونس ، اردت ان انقلها الى حضراتكم ، لعل فيها ما يفيد ، وعلى الاخص لعلها تحرك الهمم الى الالتفات الجدى نحو تراثنا والعناية به وتوجيه انظار المثقفين والعلماء والمسؤولين عن الثقافة والتربية فى اقطارنا نحوه ٠

---

(1) الاول من المغرب الاقصى ، والثانى من الجزائر والثالث من تونس ، والرابع من ليبيا ، وكلهم من ذوى الشهرة والصيت ، وفى غنى عن كل تعريف ٠

وقبل التوجه الى هؤلاء جميعا ـ والى حضراتكم ـ ببعض المقترحات او التوصيات ، ارى لزاما على ان اقدم لمحة خاطفة ونظرة عامة حول نشاط تونس وجهودها فى ميدان احياء التراث ونشره والعناية به ، قديما وحديثا ، منذ ظهرت فيها الطباعة العربية الى اليوم ٠

قامت فى تونس محاولات كثيرة ، فى الماضى والحاضر ، لاحياء التراث المغربى العربى وتحقيقه ونشره ، بعض هذه المحاولات كان رسميا ، تحت اشراف الدولة او برعايتها ، وبعض آخر كان محض جهود فردية قام بها علماء وادباء ٠٠ لئن كان اكثرهم غير متخصص ولا متدرب على طرق التحقيق والنشر الحديثة ، فان غيرتهم الوطنية ونزعتهم العلمية قد كانت الحافز الاعظم لهم على انجاز ما قاموا به من جهود ٠

الـرائـد الأول

وانه لواجب علينا ـ قبل كل شيء ـ ان نسجل هنا اسماء الرواد الاولين منهم ، تشريفا لهذه الكلمة ، وتخليدا لذكرهم ٠

واقدمهم دون جدال العلامة البحاثة والمصلح الجرىء **سليمان الحرائرى** ، الذى كان اول تونسى استعمل المطبعة العربية الحجرية بتونس منذ عام 1849 مستعينا بصديقه وتلميذه الاب المستشرق فرنسوا بورقاد (F. Bourgade) فكان كتاب « **مسامرات قرطاجنة** » اول كتاب حديث طبع باللغة العربية فى تونس ، حسبما نعلم ٠ ثم نشر الحرائرى بعد ذلك كتبا عديدة بالمطبعة العادية ، اثناء هجرته واقامته بباريس ، نذكر منها ما له علاقة بالتراث ، حيث نشر بتحقيقه كتاب « **قلائد العقيان** » للفتح بن خاقان الاندلسى ، و **مقامات احمد بن المعظم** وسيرة **عنترة العبسى** ٠

جمـاعـة الـرائـد

وبينما كان سليمان الحرائرى يواصل عمله كاستاذ فى معهد اللغات الشرقية بباريس حتى وفاته بها عام 1877 كان علماء آخرون يواصلون فى تونس تحت اشراف الدولة التونسية ، وفى مطبعتها الرسمية ـ مطبعة الرائد التونسى التى احدثت عام 1860 ـ يواصلون طبع الكتب الحديثة وكتب التراث فى وقت واحد ، بهمة لا تكل وعزيمة لا تنى ٠

من هؤلاء الاعلام نذكر ، الشيخ **محمد السنوسى** الذى كان اول مدير تونسى لهذه المطبعة ، والشاعر **محمود قبادو** ، والشيخ **محمد بيرم الخامس** ، والشيخ **محمد البشير التواتى** ، والعلامة **سالم بو حاجب** ٠

وقد استمر نشاط هذه الحركة المباركة فى حماسة وانتظام وصعود ، حتى نكبت البلاد بالاحتلال الفرنسى يوم 12 ماى 1881 فاختل سيرها واخذت فى التراجع حتى توقفت تماما بنهاية العقد الاول من القرن الحالى •

وخلال هذه المدة تم نشر عشرات الكتب القديمة والحديثة ، على اختلاف احجامها وموضوعاتها ، ورغم ان طرق النشر والتحقيق الدقيقة العصرية كانت مفقودة فى اكثرها ، الا انها كانت طلائع نهضة جبارة لو أتيح لها ان تتواصل وتتفاعل مع مظاهر التقدم العلمى الحديث لغيرت كثيرا من مظاهر الحياة العلمية والفكرية فى تونس •

على اننا نؤكد بان عشرات الكتب التى انجزتها هذه الحركة المباركة ، قد كانت تظهر فيها عناية بالغة من الجد فى العمل ، والتثبت فى المعلومات وتصحيح النص الى اقصى حد متيسر للمشرفين عليها ، وقد كان هؤلاء وغيرهم طليعة رائدة ــ من علماء وادباء ــ مثلوا بحق نهضة تونس فى القرن التاسع عشر احسن تمثيل •

ومما يلاحظ هنا ان مطبعة الرائد التونسى ، قد كان لها فى تونس نفس الدور ــ تقريبا ــ الذى كان لمطبعة بولاق فى مصر •

ومن المصادفات الطريفة التى حدثت لكل من هاتين المطبعتين ، ان كلا منهما قد ساهم فى نشأتها وحركتها العلمية عالم اديب من علماء البلد الآخر :

فقد ساهمت تونس فى حركة النشر لمطبعة بولاق باحد ابنائها من العلماء الافذاذ وهو الشيخ **محمد بن عمر التونسى** الذى كان من ابرز علماء عصر محمد على ، ومن كبار المساهمين فى منشورات مطبعة بولاق ، ترجمة وتصحيحا وتأليفا (2) •

كذلك كان احد ابناء مصر ، ومن ادبائها وعلمائها البارزين فى القرن الماضى ، من بين المشرفين والمساهمين فى نشاط مطبعة الرائد التونسى ، وخاصة فى تحرير جريدة الرائد ، وهو الشيخ **حمزة فتح الله** (3) •

ونعود الى منشورات مطبعة الرائد التونسى فنذكر ، باننا نستطيع ان نبوبها الى الابواب الكبرى التالية :

---

(2) راجع عنه : معجم المؤلفين ج : 11 ــ ص : 82 والاعلام ج : 7 ــ ص : 209 ومجلة كلية آداب الاسكندرية م 2 (1944) ص : 179 ــ 221 •

(3) راجع عنه معجم المؤلفين ج : 4 ــ ص : 80 ــ الاعلام ج : 2 ــ ص : 313 •

اولا – كتب دراسية ، او مدرسية – للتعليمين المدنى والعسكرى ، فمن النوع الاول كتاب،متن الآجرومية،ومتن ابن عاشر،وعدة شروح على الآجرومية، منها شرح خالد الازهرى ، وشرح المكودى ، ومختصر الدر الثمين للشيخ ميارة ، وحاشية على القطر وشرح الاربعين النووية ، ومنهج السالك الى الفية ابن مالك للشيخ الاشمونى ، الى غير ذلك من كتب سدت حاجة التعليم المدنى حسب برامج ذلك العصر .

واما فى التعليم العسكرى ، حيث كانت اكاديمية باردو الحربية تشرف على اكبر حركة فى الترجمة والتأليف العلمى العسكرى حدثت بتونس حتى الآن ، فقد تم طبع كتب كثيرة نذكر منها بالخصوص : كتاب « كنزفنون الضباط الصغار » **لأحمد الموالى** ، وكتاب « خدمة ضباط عسكر التريس » و « طابور عسكر » له ايضا .

ثانيا – كتب فى الفقه والحديث والعقائد : ونلاحظ سلفا ان بعض هذه الكتب كان مقررا ايضا للتعليم فى الزيتونة والمدرسة الصادقية،فمما طبع خصيصا للصادقية ، كتاب عقيدة الامام السيوطى ، ومجموعة الاحاديث القضاعية . والمكودى على الآجرومية ، وشرح صغرى الصغرى للسنوسى الحسنى . ومما طبع للزيتونة ولعموم القراء : كتاب موطا الامام مالك ، وشرح الاربعين النووية ، وحاشية على قرة العين لشرح ورقات امام الحرمين ، مع الشرح المحشى للشيخ الحطاب .

ثالثا – كتب فى اللغة والادب – شعرا ونثرا ، وهى ايضا نوعان حديثة لمعاصرين ، وقديمة من التراث ، ونكتفى بذكر بعض اسماء النوع الثانى ، فمن ذلك ديوان حسان بن ثابت ، وكتاب خاص الخاص لأبى منصور الثعالبى ، والجزء الاول من عمدة ابن رشيق ، وقصيدة بانت سعاد .

رابعا – كتب تاريخية ، ونقتصر فيها على كتب التراث : ومنها كتاب المؤنس فى اخبار افريقية وتونس لابن أبى دينار ، والجزء الاول من الحلل السندسية فى الاخبار التونسية للشيخ الوزير السراج ، وتاريخ الدولتين للزركشى .

خامسا – كتب فى السياسة والاصلاح والسلوك ، وسياسة الملك ، ومعظم هذه الكتب حديثة ، الا ان بعضها كان من التراث ، ككتاب « واسطة السلوك فى سياسة الملوك » للامير موسى أبى حمو الزيانى ، و « سلوان المطاع فى عدوان الاتباع » لابن ظفر الصقلى .

سادسا – كتب فى الجغرافيا والفلك والتقاويم ، ومعظم هذه الكتب

حديثة ، وهى كثيرة مثل النـزهة الخيـرية لحسـن لازغـلى ، والـواسطة الى معرفة مالطة ، وكشف المخبا عن فنون اوروبا وهما لاحمد فارس الشدياق ، طبعتهما مطبعة الرائد اثناء اقامته بتونس واشرافه على تحرير جريدة الرائد ، حيث اعتنق الاسلام ، وتسمى بأحمـد ، ثم اطلس فى الجغرافيـا لمحمـد بن حميدة ، والجوهر المرتب فى العمل بالربع المجيب للشيخ محمد المكى بن عزوز وهو فى الفلك ، ومن كتب الفلك القديمة كتاب المطلع فى الفلك للشيخ محمد بن سعيد السوسى ت. 1040 هـ.

سابعا ـ كتب فى التصوف ، ومن قديمها كتاب « مناقب الائمة الاربعة » للشيخ الحريفيش والشعرانى ، هذا فضلا عن مجموعات القوانين الاصلاحية المختلفة ، وابرزها واهمها باطلاق قانون « **عهـد الامـان** » الذى هو اول قانون دستورى صدر فى العالم العربى بل والاسلامى ، وقد كان ضمـن مجمـوعة قوانين اخرى اول ما طبعته مطبعـة الـرائد من كتب ، وكان صـدوره يـوم العشرين من محرم عام 1274 هـ. الموافق لليوم العـاشر من شهـر سبتمبـر 1857 م. ، وتم طبعه عام 1277 هـ. 1860 م. ، ويحتوى على مائة واربعة عشر فصلا او بندا (4) .

ومعلوم انه انبثق عن هذا الدستور مجلس نيابى سمى (بمجلس الشورى الاكبر) وقد تولت مطبعة الرائد طبع محاضر جلسـاته الاولى فى مجلـد عام 1279 هـ. 1862 م. (5) .

عهـــد الحمـايـــة

فى هذا العهد تغيرت الامور تماما منذ زحف الاحتلال على تونس يوم 12 ماى 1881 ، وفرض على البلاد كابوسه وطغيانه طيلة ثلاثة ارباع قرن ، وقد اصيبت خلالها جهود الدولة التونسية ، ومواكب نهضتنا الفكرية بالخصوص ، أصيبت بانتكاسة كبيرة ، فاحتجبت بالتدريج ، وفق مخطط استعمارى ، جهود الدولة ورعايتها للحركة العلمية ، وخاصة فى ميدان الطبع والنشر واحياء التراث ، لا سيما وان مطبعة الرائد قد كانت هى المطبعة العربية الوحيدة بتونس حتى

---

(4) انظر عن هذا الدستور ، وظروفه ونصه ، كتاب « الدستور التونسى » لزين العابدين السنوسى ط 2 ـ تونس 1955 .

(5) راجع تفاصيل ما طبعته المطبعة الـرسمية قبـل الحمـاية فى : (المجلـة الزيتونية) م 4 ـ ج : 5 ـ ص : 19 ـ 26 ـ ومجلة إبلا ـ IBLA ـ عدد : 98 ـ ص : 147 ـ 173 .

عام 1887 حين ظهرت جريدة الحضارة وكونت لنفسها مطبعة خاصة بعد تجارب طبعها فى مطبعة الرائد وفى غيرها ٠

وبعد انقطاع النشاط الرسمى فى ميدان النشر واحياء التراث حلت محله جهود العلماء والادباء الخاصة ، التى تعاقبت دون كلل وفى تقدم مستمر رغم قوانين الاستعمار الجائرة وعراقيله المثبطة ، حتى طلع النور بفجر الاستقلال يوم 20 مارس 1956 ٠

وفى خلال هذا الزمن الطويل من الحكم الاجنبى ، استطاعت جهود المناضلين والعاملين باخلاص فى حقل الطبع والتاليف ، نشر مئـات من الكتب المختلفة كما ضحى الكثيرون فى سبيل تحقيق نهضة الفكر والثقافة بتونس سواء عن طريق الصحافة او النشر او التعليم ٠

وهكذا زاد عدد المطابع العربية وارتفع مستواها الفنى ، كما اقتحم ميدان النشر بالخصوص أصحاب المكتبات التجارية والصحف الوطنية ، يحدو الجميع الروح العلمية والغيرة الوطنية ، دون اهتمـام بالجـانب التجـارى او السعى وراء الربح ٠

ويمكننا ان نصنف العاملين فى ميدان نشر الكتاب بتونس خـلال فتـرة الاحتلال الاجنبى الى :

أولا ــ الحكومة ٠

ثانيا ــ اصحاب المكتبات والناشرون الهواة ٠

ثالثا ــ اصحاب المطابع والصحف ٠

رابعا ــ العلماء والادباء الذين نشروا كتبهم على حسابهم الخاص ٠

اولا : الحكـــومـــة

فاما الحكومة ، فان نشاط المطبعة الرسمية قد انقطع او كاد منذ نهاية العقد الاول من القرن الحالى ، واقتصرت على طبع الرائد التونسى الذى انقطع هـو الآخر عن نشر ما كان ينشره فى عهـد نشـأته الاولى من مقـالات وقصـائد واخبار ، واصبح جريدة رسمية خاصة بالقوانين والاوامر والبلاغات الرسمية ، كما ازدوجت لغته منذ عام 1882 فاصبح يصدر فى طبعتين عربية وفرنسية ٠

ومعظم الكتب التى طبعتها مطبعة الرائد فى هذا العهد قد كانت على حساب مؤلفيها او ناشريها الخواص ٠

وقد حاول بعض المستشرقين ـ وهو الاستاذ وليم مرسى ـ الاعتناء بالمخطوطات ونشرها ، فدعا الى تكوين لجنة تعنى بالتراث التونسى خاصة ، فتكونت بالفعل عام 1923 « **اللجنة التونسية لنشر المخطوطات العربية** » وضمت سبعة افراد برئاسته ، وكان من ابرز اعضائها العلامة المرحوم **حسن حسنى عبد الوهاب** وقد اختارت هذه اللجنة عشرين مخطوطا لتعمل على تحقيقها ونشرها تحت اشراف ادارة العلوم والمعارف فى ذلك العهد . غير ان المشروع بقى يتعثر ، ولم يطبع منه سوى ثلاثة كتب احدها « **آداب المعلمين** » لمحمد بن سحنون وقد حققه ونشره على حسابه الخاص العلامة حسن حسنى عبد الوهاب (6) ، وطبع عام 1931 اما اعضاء اللجنة الآخرون فلم ينجزوا سوى كتابين هما : « **رحلة التجانى** » و « **تخريج الدلالات السمعية** » ولكن طبعهما وتحقيقهما واخراجهما كان على حالة مزرية ، وفى غاية النقص والخلل ، فحجبا عن الانظار ولم يقع عرضهما للبيع ابدا .

ثانيا : الناشرون الهواة

اما النوع الثانى ، اى اصحاب المكتبات والناشرون الهواة ، فمن اشهرهم اسما واكثرهم غيرة ونشاطا الاديب المرحوم الاستاذ **زين العابدين السنوسى** ، الذى اسس عددا من الصحف والمجلات وانشأ مطبعة ودارا للنشر تحت اسم « **دار العرب** » ويليه نشاطا وغيرة السيد **الجيلانى الفلاح** ثم السادة : **صالح العسلى** صاحب المكتبة العتيقة ، **ومحمد الامين** صاحب المكتبة العلمية ، والحاج **محمد الثمينى** صاحب مكتبة الاستقامة .

ولئن كانت جهود زين العابدين السنوسى متجهة اكثر ما يكون الى الانتاج الحديث حيث نشر ـ فيما نشره ـ ديوان مصطفى آغة وديوان الشاذلى خزنة دار ، وكتاب « العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية » للطاهر الحداد ، وكتاب « الخيال الشعرى عند العرب » لأبى القاسم الشابى ، فى طبعته الاولى عام 1929 ، فان جهود معاصريه الآخرين ، قد كان فيها اهتمام خاص بكتب التراث ، وان لم تخل جهود زين العابدين من مساهمة فى احياء التراث ، فقد نشر كتيبا صغيرا عن الصيام لابن رشد ، وتولى طبع بعض كتب التراث لحساب غيره فى مطبعته ، مثل كتاب « ابن سحنون » السالف الذكر ، وكتاب « تاريخ الدولة الحفصية لابن الشماع » .

---

(6) انظر عن هذه اللجنة ، مقدمة هذا الكتاب ، ومقدمة (رحلة التجانى) بتحقيق ح. ح. ع. ، ط تونس 1958 .

ونكتفى هنا بالنسبة للناشرين الآخرين بذكر بعض كتب التراث التى تولى نشرها محمد الامين الكتبى : وفى مقدمتها كتاب « لباب اللباب » لابن راشد القفصى » ، وكتاب « الهبة والعطا فى شرح عقيدة الوسطى » لابى اسحاق الاندلسى ، و « القوانين الفقهية » لابن جزى ، و « تنقيح الفصول فى الاصول » للقرافى ، و « ذيل بشائر اهل الايمان » فى تراجم العلماء التونسيين ، لحسين خوجة ٠

ثالثا : المطابع والصحف

اما اصحاب المطابع ، فنكتفى بذكر المطبعة التونسية ، ومطبعة التقدم ، ومطبعة النهضة واهم هذه المطابع دون ريب ، هى المطبعة التونسية التى قامت بدور عظيم للغاية فى طبع الكتب والصحف طيلة نصف قرن ، وحلت بذلك محل مطبعة الرائد ، ومن اهم مطبوعاتها فى باب التراث العربى : كتاب « **معالم الايمان فى معرفة اهل القيروان** » لعبد الرحمن الدباغ وهو يقع فى اربعة اجزاء ، و « عنوان الاريب عما نشا فى تونس من عالم اديب » للشيخ محمد النيفر ، « **ومعالم التوحيد فى القديم والجديد** » لمحمد بلخوجة ، و « شهيرات التونسيات » لحسن حسنى عبد الوهاب ، والكتب الثلاثة الاخيرة لمؤلفين حديثين ، غير ان موضوعها من صميم تراثنا وتاريخنا الثقافى القديم ٠

اما مطبعة التقدم فقد كان يديرها الصحفى والمناضل الوطنى المرحوم **البشير الفورتى** ، الذى تولى طبع وتصحيح كتاب « الحلل الموشية » فى الاخبار المراكشية » وقد نسب خطأ الى لسان الدين ابن الخطيب ٠

ونعود الى الصحف والدوريات ، فنذكر ان اكثرها اهتماما وعناية بالتراث ، هى صحف « **الحاضرة** » و « **الوزير** » و « **الزمان** » ثم مجلات « **البدر** » و « **الفجر** » و « **العالم الادبى** » و « **المباحث** » و « **الثريا** » ٠٠ ففى كثير من اعداد هذه الدوريات مسلسلات متنوعة ، بعضها مخطوطات محققة ، وبعضها الآخر دراسات مدققة تتصل بتاريخنا السياسى او الثقافى بوجه عام ٠ ولو استخرجت هذه المسلسلات اليوم واعيد طبعها مستقلة ، لكونت عشرات الكتب ٠ وقد قمت عام 1961 بتجربة ناجحة فاشرفت على جمع مسلسلة (**على الدوعاجى**) « جولة بين حانات البحر المتوسط » و « ومذكرات منفى » **لمحمود بيرم التونسى** ، وتولت نشرهما كتابين الشركة القومية للنشر والتوزيع ٠

وهذا بالضبط ما كانت تقوم به مجلاتنا وجرائدنا القديمة ، ومن هذا القبيل القسم الخاص من جغرافية افريقية والاندلس ، الذى نشرته مجلة البدر تباعا

ثم فصلته فى كتاب مستقل ، وقد استخرجه العلامة حسن حسنى عبد الوهاب من كتاب « **مسالك الابصار** » للعمرى وعلق عليه تعليقات ضافية ·

كذلك فعلت جريدة « **النديم** » فى كتاب « **قرطاجنة فى اربعة عصور** » للاستاذ أحمد توفيق المدنى ، ومثل هذا فعلته مجلة المباحث بكتاب « ثورة الفكر أو مشكلة المعرفة عند الغزالى » للزعيم المرحوم الاستاذ **على البلهوان** الذى نشر كثيرا من فصوله فى المباحث ثم تولت هى طبعه فى كتاب مستقل ، فكان باكورة منشوراتها ·

ومن المفيد ان نذكر هنا ، ان هذه المجلة قد فتحت صفحاتها لاقلام المغاربة جميعا ، مثلها فى هذا مثل كل الصحف التونسية السابقة واللاحقة ، الا انها قد تميزت عن غيرها بشىء جديد ، وهو رصدها جوائز مالية سنوية للكتاب والباحثين فى المغرب العربى ، وفعلا فان اولى جوائزها قد كانت من نصيب مؤلف من المغرب الاقصى هو الاستاذ محمد الرشيد ملين عن كتابه « **عصر المنصور الموحدى** » ، فحبذا ان تتجدد مثل هذه المشاريع والمبادرات التى تهدف الى تحقيق الوحدة الفكرية والثقافية بين اقطار وابناء المغرب العربى ، بل ان تكون على نطاق اوسع واعمق ، تمهيدا وتدعيما لبناء الوحدة المغربية الشاملة ·

رابعا : العلماء والادباء

وننهى هذه الجولة حول تراثنا فى تونس بالحديث عن نشاط بعض العلماء والادباء ، الذين كانوا يعتمدون على انفسهم فى نشر مؤلفاتهم الحديثة او نشر كتب التراث التى قاموا بتحقيقها ·

ورغم كثرة هؤلاء فى ميدان المؤلفات الحديثة كالشاعر سعيد أبى بكر ، والشيخ محمد العربى القروى ، والشاعر صالح السويسى ، والمؤرخ أحمد توفيق المدنى ، والبحاثة محمد بن الخوجة ، والرحالة محمد المقداد الورتتانى ، والاديب محمد المرزوقى ، والشاعر منور صمادح ، فان باب التراث كان ضئيل الحظ جدا ·

ولا شك ان ابرز الاسماء واهمها هو الاستاذ **حسن حسنى عبد الوهاب** ، الذى يعتبر الرائد الاول للبحث الحديث فى خصوص الحضارة الاسلامية بتونس ونشر التراث العربى بها ؛ فأول كتاب طبع له كان عام 1905 ، وآخر كتاب كان فى عام 1968 ، وبين هذين التاريخين نشر بالعربية والفرنسية عشرات الكتب والابحاث المتصلة بالتراث التونسى خاصة ، والمغربى عموما ·

وسأكتفى هنا بذكر الاسماء البارزة من كتب التراث التى نشرها ، والكتب ذات العلاقة الوثيقة به ·

فمن النوع الاول :

1 ـ القسم الافريقي من كتاب « اعمال الاعلام » لابن الخطيب ، طبع فى بلرمو بصقلية عام 1910 ٠

2 ـ « رسائل الانتقاد » لابن شرف القيرواني ، ط 1911 ٠

3 ـ « آداب المعلمين » لمحمد بن سحنون ، ط 1931 ٠

4 ـ « رحلة التجاني » ، ط 1958 ٠

5 ـ « وصف افريقية والاندلس » ، من كتاب المسالك للعمرى ، ط 1921 ٠

6 ـ « الجمانة فى ازالة الرطانة » ، (فى لهجة اهل الاندلس لمؤلف مجهول) ، ط 1953 ٠

7 ـ « التبصر بالتجارة » للجاحظ ، ط 1932 و 1966 ٠

8 ـ « كتاب يفعول » للصاغانى ، ط 1924 ٠

9 ـ « ملقى السبيل » للمعرى ، ط 1911 ٠

ومن النوع الثاني :

1 ـ « بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق » ط 1911٠

2 ـ « الامام المازرى » ط 1955 ٠

3 ـ « مجمل تاريخ الادب التونسى » ط 1968 ٠

4 ـ « شهيرات التونسيات » ط 1934 و 1966 ٠

5 ـ « ورقات عن الحضارة العربية بافريقية » ـ جزآن ، ط 1965 و 1966 ٠

عهد الاستقلال الحديث

وهذه الكتب الثلاثة الاخيرة قد صدرت مع رحلة التجاني فى عهد الاستقلال ، وهذا يدعونا الى ان نختم جولتنا بعرض ما تم انجازه فى عهد الاستقلال ، من مشاريع وكتب تتصل بتراثنا تحقيقا ونشرا ٠ مع الملاحظة بان السنوات الخمس الاولى من الاستقلال قد انصرفت فيها كل الجهود الى تجسيم مظاهر الاستقلال وتحقيق الجلاء ، وهذا ما جعل النشاط الرسمي فى ميدان احياء التراث يتأخر بعض الشيء ، غير ان تدارك ذلك قد وقع بالتدريج فى السنوات اللاحقة ؛ فقد ظهرت باكورة انتاج وزارة الثقافة عام 63 ، بنشرها تباعا كتاب « اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان » لاحمد بن أبى الضياف فى ثمانية اجزاء ، وهناك كتب اخرى اصدرها (**المعهد القومي للآثار**) قبل هذا التاريخ ، اى بين اعوام 57 ـ 1962 حين كان

يديره العلامة المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب ؛ فقد نشر المعهد المذكور مجموعة من الكتب ، عربية وفرنسية ، من اهمها « **رحلة التجانى** » و « **مؤنس الاحبة فى اخبار جربة** » المنسوب لمحمد أبو رأس الجربى ، وكتاب عن « **نقائش القرجانى** » وآخر عن « **نقائش المنستير** » .

وابتداء من عام 1965 اناطت وزارة الثقافة بتونس مهمة نشر التراث إلى الدار التونسية للنشر ، فاصدرت حتى الآن الكتب التالية :

1 ــ الجزء الاول من « القسم المغربى من خريدة القصر » للعماد الاصفهانى.
2 ــ « الفارسية فى مبادى الدولة الحفصية » لابن القنفذ .
3 ــ « الواضح فى مشكلات شعر المتنبى » لأبى القاسم الاصفهانى .
4 ــ « سياسة الصبيان » للطبيب أحمد بن الجزار القيروانى .
5 ــ « طبقات علماء افريقية وتونس » لأبى العرب .

ولديها الآن عدد اكبر من كتب التراث تحت الطبع او بصدد التحقيق نذكر منها :

1 ــ « رحلة ابن رشيد » .
2 ــ « المجالس والمسايرات » للقاضى النعمان .
3 ــ « الجزء الثانى من القسم المغربى من خريدة القصر » .
4 ــ الجزء الثانى والعشرون من « نهاية الارب » للنويرى وهو خاص بافريقية والمغرب .
5 ــ « كتاب السماع » للتيفاشى .

اما الناشرون الخواص بتونس فقد نشروا خلال السنوات الخمس الماضية كتبا اخرى من التراث ، اهمها ما نشرته مكتبة المنار وهو :

1 ــ « اشعار أبى الحسن على الحصرى » للشاعر القيروانى الضرير .
2 ــ « جيش التوشيح » لابن الخطيب .
3 ــ « ورقات عن الحضارة العربية بافريقية » لحسن حسنى عبد الوهاب ، الجزآن الاول والثانى ، وهى الآن تهىء الجزء الثالث ، وكتبا اخرى للمؤلف نفسه .

كذلك نشرت المكتبة العتيقة بتونس ، اربعة كتب من تراث تونس والاندلس ، وهى :

1 - « تاريخ الدولتين » للزركشي ·
2 - « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان الاندلسي ·
3 - « المؤنس في اخبار افريقية وتونس » لابن أبي دينار ·
4 - « فهرست الشيخ الرصاع » ·

الا ان طبع واخراج هذه الكتب كان رديئا للغاية ، ومحشوا بالاخطاء المطبعية ، كما رتبت فيها الفهارس بطريقة غير علمية · مع العلم بان الكتب الثلاثة الاولى قد سبق طبعها في تونس او باريس بعناية افضل وطبع أليق وأتقن ·

ونشرت دار الكتب الشرقية كتاب « **منهاج البلغاء** » لحازم القرطاجني ، وهو من تحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ·

ونضيف الى هذا كله نشاط بعض المحققين التونسيين الذين ساهموا في خدمة التراث العربي عامة والمغربي بوجه خاص ، سواء بتحقيق الكتب او بوضع الابحاث والفهارس حولها ·

ومن ابرز العاملين في هذا النشاط الاستاذ **ابراهيم شبوح** ، الذي نشر حتى الآن ، المجموعة التالية من كتب التراث او من الفهارس والبحوث حولها :

1 - الجزء الاول من « معالم الايمان في معرفة اهل القيروان » للدباغ ·
2 - « برنامج شيوخ الرعيني الاشبيلي » ·
3 - « فهرس كتب الطب المصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة » ·
4 - « سجل قديم لمكتبة جامع القيروان » ·

هذه لمحة عن وضعية تراثنا تحقيقا ونشرا في عهد الاستقلال ، ولم نتعرض الى عشرات الكتب الحديثة التي طبعت في السنوات العشر الماضية ، اذ لا صلة لها بموضوعنا ، كما اننا لم نتقص كل كتاب طبع ، بل غرضنا اعطاء صورة عامة ·

خطوات نحو المستقبل

ونود في النهاية ان نختم هذه الجولة باستكمال جوانب اخرى تتصل بالتراث وذات اهمية قصوى للباحثين والمهتمين به ·

واول هذه الجوانب ، ان تراث تونس بل المغرب العربي كافة - بما فيه تراث اجدادنا في الاندلس وصقلية - لا يزال مشتتا في جميع انحاء العالم ،

•ان الشان يدعو ان تنهض الحكومات المغربية ، منفردة او مجتمعة ، الى جمعه بواسطة الشراء او التصوير ، وهذا يقتضى ايجاد مركـز مشترك ، او معهد خاص ، يضم نفائس تراثنا ، ويحتوى على مصور لكل مخطوط مهما كان حجمه وكانت اهميته •

وقد بدأت تونس خطوة اولى نحو هذه الغاية ، حيث صدر امر جمهورى فى العام الماضى يقضى بلم شتات المخطوطات المفرقة فى الجوامع والمكتبات الحكوميه والزوايا لتجمع فى مكان واحد ، هو الآن دار الكتب الوطنية ، التى ينتظـر أن تضم زهاء اربعين ألف مخطوط •

غير اننا نلاحظ ان القانون - او الامر الجمهورى - لم يتعرض بشىء لمكتبات الخواص ، لهذا فان الشأن يدعو ايضا ان اصـدار امـر آخـر يحمى تراثنـا ووثائقنا القومية ، بحيث يمنع الافراد المالكون لها من بيعهـا الى الاجـانب او تحويلها الى جهة اخرى دون علم السلط المعنية •

كذلك ينبغى ان ينص هذا القانون على اتـاحة الفـرصة امـام البـاحثين للاستفادة مما يملكه الخواص من وثائق ومخطوطات ، وهذا لا يكون الا بعد تصويرها او تسجيلها لدى المؤسسات المعنية •

ويطيب لى هنا ان انوه بوجه خاص بالجهود التى بذلها الاشقاء فى المغرب الاقصى لا سيما فى جمع التراث وفهرسته والتعريف به فى المجلات ، والعمل على تحقيق عيونه ونشرها بين الناس •

تـوصيـــات مقتـرحـــة

واننى اقترح بهذه المناسبة ان نخرج من هذا المـؤتمر بتوصيـات خاصة بالتراث ، منها :

1) الدعـوة الى عقـد ملتقى يضـم المعنييـن بالتـراث والمتخصصين فيـه والمشتغلين به •

2) حث الحكومات المغربية على زيادة العناية به ، سواء بجمعه او نشره او التعريف به ، او تشجيع المنقطعين الى خدمته •

3) العمل السريع على وضع الفهارس العلمية للخزائن والمكتبات الموجودة حاليا • وطبعها ونشرها للناس •

4) توفير جميع الوسائل العلمية والتسهيلات والمساعـدات الـلازمة لكل الباحثين الجادين ، سواء فى هذا المركز المقترح او فى كل قطر على حدة ، مثل جمع الفهارس الخاصة بالمخطوطـات العـربية ، واحضـار مصـورات الكتب المطلوبة ، وتصوير ما يطلبه الباحثون بايسر التكاليف ، واسرع مدة ممكنة •

5) ضرورة قيام تعاون متين بين الافراد والمؤسسات الجامعية والعلمية المعنية بامر التراث ، وتبادل الخبرات والوثائق والانتاج والباحثين ٠

6) ضرورة الاعلان مسبقا من طرف الباحثين المغاربة ــ سواء بواسطة الصحافة والمجلات الجامعية او غيرها عما يعتزم كل باحث تحقيقه ، حتى لا تضيع الجهود المتعددة في كتاب واحد ، كما حدث مثلا في كتاب المدارك للقاضي عياض ، حيث اشتغل به ثلاثة افراد في وقت واحد تقريبا ، وهكذا صدرت طبعته كاملة مع الفهارس منذ عام (7) ، بينما يوالي آخرون نشره في المغرب ٠ ولم يتجاوزوا بعد ثلث الكتاب ، اما الجهة الثالثة فقد امسكت عن العمل لاسباب قد لا يكون بينها العلم بصدوره ٠ ومثل هذا حدث ايضا في كتاب « سياسة الصبيان » لابن الجزار ، حيث انصرف الى تحقيقه استاذ تونسي في حين كان غيره قد فرغ من تحقيقه وقدمه للطبع ٠

وبصرف النظر عن المبررات التي قد يقدمها اللاحقون في العمل المسبوق ، فاننا نقصد ــ في الواقع ــ الى شيء آخر اكثر جدية وفائدة وهو ان اهل الاختصاص والخبرة والاهتمام بخدمة التراث وتحقيقه وممارسته قليلون جدا في كل المغرب العربي ، ومن هنا وجب الاقتصاد في الجهود وصرفها اولا وبالذات الى كل جديد ، والى كل كتاب بكر لم يعن به احد ، وبذلك نجتنب التكرار في العمل ، وتبذير امكانياتنا القليلة في هذا الميدان ، بحيث لا يعتني بكتاب واحد الا شخص واحد ، وهذا لا يكون الا بالاعلان المسبق عن كل كتاب يرغب باحث او محقق في الاهتمام به ونشره بين الناس ٠

وهذا الاتجاه ، فضلا عن كونه يحفظ لنا جهودنا وامكانياتنا ، ويعلو بالعمل العلمي فوق مستوى المنافسة والاثرة ، ويجعل من اهل العلم قدوة لغيرهم في ميادين اخرى ، فضلا عن ذلك كله هو ايضا سنة متبعة لدى اهل العلم في هذا الباب ، من غربيين ومستشرقين ٠

ملحق : حول الترجمة

اما ميدان الترجمة ، فاننا نستطيع الآن القيام بعمل عظيم للغاية في نقل كثير من عيون الكتب التي وضعت بالفرنسية والايطالية والاسبانية ، عن بلادنا او تاريخنا او تراثنا ، سواء منها ما تعلق بعصور الاسلام او ما تعلق بالعصور القديمة السابقة له ٠

ومن حسن الحظ ، ان لدينا جيلا من المترجمين الاكفاء ، والامر لا يحتاج الا الى تنظيم وعناية وتشجيع من طرف الحكومات والجهات المعنية ٠

---

(7) نشرتها دار مكتبة الحياة ببيروت ، بتحقيق الدكتور أحمد بكير ، (من تونس) ٠

وحبذا ان يعقد ملتقى لدراسة هذا الموضوع ، وان يتم الاتفاق فيه على سبل العمل ، وبالخصوص على الكتب التى ينبغى المبادرة بترجمتها ٠

وفى اعتقادى ان من واجب الحكومات المغربية الاتفاق على مشروع للترجمة طويل النفس كثير الكتب ، كأن يضم مثلا خمسمائة او ألف كتاب ، توزع على عشر سنوات او عشرين سنة ٠

وتقسم حسب لغاتها واختصاصاتها على اقطار المغرب العربى ، التى عليها ان تتفق فى كل امر يتعلق بهذا المشروع ٠

انه مجرد اقتراح ، فهل يتحول الى توصية ؟ وهل يتحقق يوما ؟ (8) ٠

مراجع البحث

بالاضافة لما ورد فى البحث من كتب ومجلات ، رجعنا ايضا للمراجع الآتية :

1 ــ التونسى ؛ محمد بن عمر :
تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان بتحقيق د٠ خليل م٠ عساكر ، وزميله ، ط القاهرة 1965 ٠

2 ــ الزركلى ؛ خير الدين :
الاعلام ، معجم رجال ، ط 2 ــ القاهرة 55 ــ 1958 ٠

3 ــ سركيس ؛ يوسف اليان :
معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ط 1928 ٠

4 ــ الشيال ؛ جمال الدين (دكتور) :
تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، ط مصر 1951 ٠

5 ــ شيخو ؛ لويس (الأب) :
الآداب العربية فى القرن 19 ، ط بيروت 24 ــ 1926 ٠

6 ــ كحاله ؛ عمر رضا :
معجم المؤلفين ؛ ط دمشق 57 ــ 1961 ٠

7 ــ كرو ؛ أبو القاسم محمد :
دفاعا عن الثقافة القومية ، (كتاب جاهز للطبع ، نشرت معظم فصوله فى الصحف) ٠

8 ــ المهيدى ؛ محمد الصالح :
أ ــ تاريخ الطباعة والنشر بتونس (محاضرة) ط تونس 1965 ٠
ب ــ تاريخ الصحافة العربية وتطورها بتونس (محاضرة) ط تونس 1965 ٠

---

(8) فعلا ، لقد تبنى المؤتمر جل هذه المقترحات واعلن عنها فى توصياته وقراراته الختامية ٠

من وحي حنينك

شعر : جلال الدين النقاش

« الى الشاعرة زبيدة بشير
بمناسبة مرور سنة على طبع
ديوانها - حنين - »

يَا كَوْكَبًا شع وَحيًّا تِهْ فِي سَمَائك وَاسْطَعْ
سَنَاك منْ أنْعُم اللَّه فَاشْكُر الله وَاصْدع
لأنت من غنوة الْمجد (يَا زبيدة) مطلع
من فيك أي عَبير من البَيَان تضوّع
من (الْحَنِين) أفيضي أزكَى وأطهر منبع
نَاجتك بَين الْحنَايا خَوافق ليس تهجع
حلّقت فِيها مَلاكا بنغمة الحبّ يَسجع
الشعر قيثار خلد وأنت لَحن موقع
من وحي عَبقَر فِينا غناك شَاد فابدع

ج. ن.

سقوط سدوم
مسرحية فى سبعة مناظر

بقلم : ابراهيم بن مراد

> « ... ولوطا اذ قال لقومه أتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . اتكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون » قرآن (الاعراف - 80 - 81) .

« ها هى الحياة - حياتنا . ما أكثر ما يدب فى ظلماتها من البشاعات والموبقات ! ها هو العالم - عالمنا . ان جسمه ينخره السوس ، وهو يعبث ويلهو ! ها هم الناس الآنية الخاوية بذار الالوهة . انهم يتسابقون الى الهاوية ، وفى سباقهم يتحطمون ! » ميخائيل نعيمة (سبعون ج I) .

أشخاص المسرحية :

لوط : ابن أخى ابراهيم الخليل - نبى ، بشر .
أسمى : ابنة لوط . أنثى حالمة
ليا : زوجة لوط . أنثى .
ود : سدومية فتاة واقعية !
راحيم : ابنة لوط الصغرى . طهارة محض
بعلزبول : نبى الفلس . لاشيئية تامة .
يوؤاش : سيد سدوم ورئيس الكهنة
رسولان - كهنة - صوت ابراهيم
رجال - نساء - هواتف - اصداء - أصوات
سامان : (ابن يوؤاش) : مؤمن - حالم - ثائر
الزمان : سنة 2000 ق - م
المكان : فى دائرة الاردن

المنظـر الأول

آخر عشى مختنق الانفاس من عشايا الصيف القائـظ . تبدو « ساحة المعبد » مقعية أمام معبد المدينـة ومنـزل رئيسها « يوؤاش » هى ساحة جرداء الا من تماثيـل صخرية قاسية الملامح صلدة . يظهر على قاعدة أحدهـا ـ تمثال « جلسد » ، ربة الشهوة ـ انسان مستلق يغط فى نوم .. هو سامان بن يوؤاش ، قد ترك نفسـه الى الحلم ، فهو فى عالم آخر ...

فى ذلك العالم ـ الآخر ـ نرى المكان قد تغير ، أما الزمن فنفسه آخر عشى . هناك منزل تحيط به أشجار برتقال، وكروم ، عن يمينه وشماله قـد امتدت مزارع قمح قـد وقعت الى نسائم الاصيل فى اسلام ... فى احدى غرف المنزل جلس سامان الى فتاة كعين فتنة لاتغيض ، يغمر وجهيهما الق سحرى كأحسن الحسن وأبـدعه وأجملـه تحوم أطياف من السحر الخاطف حولهما ، فيغرقان فى دنا الصحو الخالب خياليين من أخيلة الاساطير ...

سـامـان : أسمى ! لكم اعيانى الجوس بحاثة دؤوبا عن مرفا ترسو لديه آمالى مرحلة نجاء وقرار الدعة والسلام .. وكنت أدنو مـن الشط يجذبنى نـور كاذب هو نـور أشعة واهنة عتى لقمر رصاص محتضر ... فكنت انخدع وكنت انطلق وراء المجهول يجذبنى جذبا ويشدنى اليه شدا ، فكنت انطلق وراء المجهـول الى حظه الواقع الى نفسه ، أو كعورة الجبل تقع الى العـراة والقيظ والـريح العصـوق فتـولد تناقضا وتآلفـا يتمازجان ويتحدان كلا فاذا هى قائمة جلاميد رصاصا صلبا تهزا بالقيظ والعراة والريح العصوف ، يصطرع فى جوفها الملا والخـلاء اصطراع العدم والوجود ، فلكم رأيتنى ملأ وجودا وذاتا كلا ، أتخذ المجهول الحادى تعلة لسر بقائى وسر وجودى ! ولكم رأيتنى خلاء عدما وذاتا عددا ، أتخذ الموت والخيبة تعلة لفوضى كيانى وتيهى ... والتمست ظـل « الفلس » اتفيـأه ممتـدا يشمل سدوم ، وأنسانى الخيبة والموت حينا تخيلتنى آبـدا قاهرا تزف لى الدنيا ببشائرها وتقبل ذلولا خضوعا ، حـتى تولد لدى لاسلامها كره وأصابنى الضجر ومللت ظل « الفلس »

وكرهت سدوم ··· وعرفت أنها لعنة القوم تنصب على سياطا لاهبة··فأجفلت وفزعت الى الكفر «بالفلس» والزهد في نفسي··· حتى كان يوم رأيت فيه « جلسد » طيفا يتكور لذة متعة ويشف بلورا صفاء ، والتمسته فاذا عين تدفق وكون خصيب ··· لا المرمر صلبا ولا ما يدعو الى الكفر والزهد والعزلة ، فقلت : « لتكن نهاية المطاف وليقر قرار ! ··· » وكنت الى « جلسد » وكانت الى أعب فلا تنفد وتمتص فلا ترتوى ، أستزيد فتجود وتطلب فأهوى لها هويا ··· بعضا من دهر حتى صرت كمن فسا الضربان على وجهه ، هزال يكتسحنى اكتساحا وضعف ووهن · فعرفت أن لاقرار ولادعة ولا أمن ، وأنى عائم فى فراغ · وقام أمامى السر ينكشف ويتعرى جليا واضحا ··· لقد كنت خروفا شذ عن القطيع ··· مما حصلت الا على ما قدرت لنفسى ! أجل ! هو « نظام الكون » قد خالفته ، فحق العقاب ! ولعنت « الفلس » و « جلسد » والمدينة ، وابحرت من جديد ، حتى أتيت الضفاف يهتاجنى الشوق ، ووجدت القطيع ، ووجدتك مرفأ ···

وجدتك يا أسمى ، فهب الكون كتلة من النغم والنور ، ومزنا من العطر ، وغرقت فى صحو عينيك مطلا منهما على الكون ببدائعه وبشائره ، وتولد نسيانى الزمن واللحظة ، وقام الكون يقدس اسمينا ، سرين فى ضمير الوجود الحى· فتبارك الرب يا أسمى !

اسمى : كنت فتاة حالمة أخشى ان أكون القمر الآفل الذى رآه عمى ابراهيم أو نجمة تهوى ··· وكنت أرى رؤى فى يقظتى ونومى ··· وكانت « الرؤيا » تجسد لى كائنا حيا هو عالم أخضر يغشاه فجر ··· أرنو اليه فى خشع وانبهار · كنت اليه بفكرى وقلبى وما اعتقدت أنه وهم ، مؤمنة بيوم يصبح فيه الطيف جسدا حيا ··· حتى وهب الرب أبى سدوم وكان يا سامان ما آعتقدت · وكان اليوم الذى آمنت أن سيصبح الطيف فيه جسدا حيا وشمسا نارا ونورا ··· ذلك اليوم هو يوم لقائنا أمام سدوم ··· كنت البراءة والطهارة ولا أزال، أبحث عن عالم أخضر وفجر جديد ، ولقد لمستهما فى عينيك ، سامان ! فتبارك الرب الذى بارك أحلامنا ! ···

تظلم الدنيا فجأة اظلاما خفيفا اذ يكر على السماء سحاب أسود كقطع الليل سوط عذاب ··· ويلعج برق يشق بطن

السحاب • ينفذ الى الغـرفة نور وهج يقع على وجهى سامـان وأسمى وقد آحتواها حضنه كائنا حيا ، فهما غرقان فى صمت محبة جارفة ••• حينـا وينفجر السحاب رعدا راعدا كغضب السماء • تنتفض أسمى كمن غشيه فزع •

اسمـــــى : هاتف من السماء يا سمان • إخاله نذيرويل •••
يتحول الرعد صوتا نذيرا • سامان الى الرعد والعاصفة يسمع خطاب السماء •••

الهاتـــف : « ان صراخ سدوم قد اشتد ، وان خطاياها قد عظمت جدا • فويل للكافرين من شر يوم عصيب ! ••• » •

أسمـــــى : انها رؤياى البارحة ياسامان ••• لقد رأيت ثعلبا يندس بـين طيات ظلمة بعد ان نظر حواليه وقال : « هذه الظلمة ظلى » • ثم غار فى دغل حتى انتهى الى نهر وقف على ضفته كالمزهـــو يرقب فى عجب مجرى النهر الذى كان يحمل جثثا من بنات آوى وبنات عرس يسوقها التيار الى هاوية سحوق ••• كان منظر النهر والجثث المتدافعة الى الهاوية يثير سخرية السماء • فكانت النجوم تغامز وتهامس ، ووشوشات الليل تســرى ، وكأن ليس من نهر ولاجثث ولاهاوية ••• واذ لاحظ الثعلب لامبالاة السماء به والنجوم والليلة الغافية ، انتفض كالملسوع ، وقال : « هذه أمتى ! » وارتمى فى النهر ليحمله التيـار الى الهاوية •
فعرفت أنه نبى فاقد وعيه ينتحر •••
ينزاح الظلام • وتلوح سدوم بمبانيهـا وهياكل الهتها يعلوها هيكل « الفلس » الى المتحدثين ، غبراء يغشاهــا ضباب كثيف ، اذ استحالت العـاصفة الى ريـح عـوى كالعواء أو النحيب •••

ســـامـــان : يشير الى هيكل « الفلس » وقد آمتد فى الهواء ، فبدا لهما••) ترين « الفلس » يا أسمى ؟ انهـا سبب الويل وغضب الرب على سدوم ! هى التى جعلت من أبناء سدوم بنات عرس وبنات آوى يغيضون فى الهاوية ! •••

اسمـــــى : إخال الساعة تقترب يا سامان ! (تنتفض كمن به مس) : انى

أستمع عجبا ! الريح تحمل صوت عمى ابراهيم من «حبرون» !
(منصرفة الى الريح والعاصفة) ·
يصغى سامان بدوره ، فيأتيه صوت غائر غائض فى الابعاد ،
مع الريح ، كالحا شاحبا ، ثم ريان حازما ··· هو صوت
ابراهيم الخليل من حبرون ·

الصـــوت : ربى ! أيها الاعدل الامثل ! أفتهلك البار مع الاثيم ، فى سدوم؟
عسى ان يكون فيها من البررة خمسون ؟

هـاتـــف : (يجيب) : لا يؤخذ البرىء بالمذنب يا ابراهيم ··· ولانهلك
سدوم اذا كان فيها خمسون بارا ···

ابـراهيـم : الهى ! خلقت الانسان من ماء دافق ، وكونته من تراب ···
فهو التراب ينحل فى الماء ويذوب ! يذوب فى ذاته ويفنى !
والسدوميون تراب يذوبون فى الماء ، ذواتهم ، الدافق من عين
اثم جارية ··· فعسى أن يوجد فى سدوم أربعون بارا ·
أفتهلك المدينة من أجل العشرة الآثمين ؟

الهـاتـف : لا نهلك المدينة اذا كان فيها أربعون بارا ···

ابـراهيـم : الهى ! خلقت الانسان من صلصال كالفخار ، يتحطم كالزجاج
ولا رتق · فهو طين ووحل ، ونار ونور ··· وقد تأكل النار
الطين والوحل وتبتلع النور الصفاء ، فاذا الانسان من مارج من
نار ··· والسدوميون قد امتلؤوا بخوائهم · فهم الذئاب هزالا
قد قتلهم الصوم عن التوبة · وهم الفحم احتراقا ويبسا قد
أكلت النار الاتون الطين والوحل منهم وابتلعت النور الصفاء
فيهم · فهم من مارج من نار ولا نار ، وهم الظلام الخواء ، ولا
نور ! فعسى أن يوجد فى سدوم ثلاثون بارا فقط · أفلا تشمل
رحمتك المدينة من أجل الثلاثين ؟

الهـاتـف : لا نهلك سدوم اذا كان فيها ثلاثون بارا ···

ابـراهيـم : رب ! سدوم أرض الخطايا · ورحمتك أقرب الى أمل الانسان
من عقابك · فأنت قابل التوب ، شديد العقاب · وعسى أن
يوجد فى سدوم عشرون بارا · أفلا تقبل توبة هؤلاء من أجل
الآخرين ؟

الهـــاتـف : خلقنا الانسان من نطفة · خلقناه من علق · خلقناه من صلصال كالفخار وخلقنا الشيطان من نار · خلقناه فى أحسن تقويم رجلاه فى الارض ورأســه فى السمـاء ، ثم أتى عليه حين من الدهر فرددناه أسفل سافلين · فهو فى الارض ولا سماء ! وهو من الارض ولا سماء ! وهـو عـلى الارض ولا سمـــاء ! وقد حقت كلمة العذاب من ربك · ولكن الله يقبل التوبـــة ويغفر الذنب · فلا يهلـك سـدوم اذا كان فيهـا من البـررة عشرون ، ولا يهلك سدوم اذا وجد فيها من البررة عشرة ··· والله أعلم بمن فيهـا ···

كانت الريح رخاء ثم تنقلب زعزعا يتلاشى معه الصـوت والهاتـف ·

ســـامـــان : انها نهايـة سـدوم !

يطرق · ثم يتجه ببصره الى الشرق كغارق فى صلاة أو ذائب فى حرارة التأمل ··· وجهه الشرق والفجـر والصبح ، جمالا على جمال ! ثم يعود الظلام الى المكان خفيفا ··· لحظـــة ويغزو النور المكان ليكشف سامان عن مكـانه الاول يغط فى نومه وأحلامه ··· وفجأة يستيقظ وينظر حواليه كالفـزع أو المهتــاج ···

المنظـر الثـانى

بعد ثلاثة أيام من حلم سامان · آخر عشى من عشايـــا الصيف ، بنفس المكان : ساحة المعبد · شبحان يلجان الساحة الجرداء الا من التماثيل الصخرية الجامدة ، يأتيـان قاعدة أحدها « جلسد » يضعان عليها جسديهما حملا ثقيلا · هما سامان وود · لكأن عين بكاء فائرة قد انفجرت فى نفس سامان·فهو الى الثورة والكفر يجنح، تظهر ذلك حركاته الثائرة العصبية ، وتنظر اليه ود فتنكر منه ، وينظر اليها فينكرها ·· هما طريقان قد افترقا ···

ســـامـــان : رأيتنى البارحة ياود وحيدا اسير فى نفق كامتداد خطـايـاى منبسطا ظلا أجرد قاسيا زمهريرا ··· لم أر فيه نفسى انمـا أحسستهاثقيلةثقيلة اذ لانور ولابصيص الا الظلام الاقتم يشعرنى بضآلتى ويجسم لى حقارتى جبانا جبانا أسير ظله أسير نفسه أسير الظلام ؛ وبينما كنت أسير ، ولا طريق ، مقطوع الصلة

بذاتى مجتث الاصل من الوجود الحق ، انفرج سطح النفق عن ثقب انفجر منه شعاع حادا حديدا جعلنى انتفض فتعود الى ذاتى وأعود الى الوجود ··· ثم امتدت يد من الثقب وقذفت بتمثال صغير فى شكل كلب عليه رسم « الفلس » و « جلسد » فى صورة أمرأتين تتعانقان · فالتقطته وقلت « هى أحلى هدية تكون الى أنثى سدومية ! وستكون الى ود ، أشهاهن اطلاقا ، فى عيد « الفلس » و « جلسد » موسم الخصب » · ولكن التمثال استحال فى يدى رمادا ، ولم تمهلنى اليد اذ اجتذبتنى الى أعلى ··· الى النور الانق · ودفعت بى الى الشرق ، ولا أزال سائرا حتى آستيقظت ··· (مفكرا) : لقد استيقظت لاكتشف زيف حقيقتى ! حقيقة من كان حلما كاذبا وخبرا باطلا وزيفا زيفا !

ود : (منكرة منه) : أراك تؤمن بالاحلام ؟!

سامان : لحلمى ذاك أمس وغد · فحياتنا فى اليقظة هى حياتنا فى الحلم · الحياة آمتداد كل لا يتجزأ ···

ثم يثور فجأة كان ذكرى بعيدة تخزه وتحركه قسرا · ينظر حواليه وينفجر ···

لست أدرى هل يوجد جحيم آخر غير الذى يحملنا ··· أرض تائهة يعانقها القحط ، عاهرة عقيم لاتخصب أرحامها غير اللعنة ··· وسماء ضائعة خلف سجف من الظلمة ··· عجوز عقيم قد أنقض ظهرها الدهر ···

ود : (تتمسح به ، كأنها قطة عجوز ، متأثرة) : لماذا تغرق فى اليم ؟ أنظر حواليك ، زخم الحياة يزف اليك بنفسه ! وانهر غرابا ينقر من قلبك · أنت فى جنة دانية قطوفها ، يريكها الوهم جحيما ·

سامان : ود ! الارض فى مناحة ، والآلهة فى جنازة !

ود : بل الارض فى عرس ، ولامناحة ولاجنازة الا فى قلبك ··· ألا تسمع هذا البغام يصاعد من جسد حى ، ويرفرف حولك كأنفاس الجنة يغرى لذة ! ···

سامان : ان الاوام الذى يشد اليه هذه الارض ببأسه لشديد ، وانه

للعون ! ولكنك أمرأة غير مدوزنة أوتار قلبك ، ففى أذنيـــك وقر وعلى عينيك غشاوة ٠ ان فى قلبى لزعزعا يحتدم أيـــن للرخاء الكاذب الذى يغمر قلبك ان يهون منه !

ود : إنك لضعيف واهن يا سامان ٠ ان الحيـاة خصلـة من شعـر تنام على كتفك ٠ (تضع رأسها منسدل الشعر طويله ، على كتفه) ٠ وهى تفاحة تهدى نفسها اليك ٠٠٠

ينفر سامان من حركاتها ، ويحاول التخلص منها ٠

ولكنك أجبن من أن تضم هذه الخصلة ، وأضعف من أن تجنى هذه التفاحـة !

ســـامــــان : لعنت تفاحة تخرجنا من الجنة لنكون فى هذا الجحيم غفـــلا يسعى الى الهوة أزفى ! ها نحن فى عالم مجنون ، يجذبـــه الحيوان فيه الى حمأة التراب ! الارض فى مناحة ياود ، لانهـا توشك أن تودع ابنها المجنون ! والآلهة فى جنازة ، لانها توشك أن تتصـدع ! ٠٠٠

ود : سامان ! انك ترى الحياة بعين وهمك وخيالك ٠ فأنا لا أسمع نواحا ولا أرى حزنا ٠ بل أرى أرضا ممتدة ظمأى الى قطرات المطر لتخصب حبا وحياة ٠ وهى تدعوك الى أن تغزو قلبهـــا غزو الفاتحين لتهبك كنوزها وتفعمك طمأنينة وســلامـا ٠٠٠ كن انسانا ينظر الى أعلى ، يشد اليه بالحياة ، فتهبه نفسها ٠ ولا تكن الها ينظر الى أسفل ، يحتضن الخيبة ، ويضم اليـــه أملا عقيمـــأ ٠

ســـامــــان : أنت واهمة يخدعك سراب كاذب ٠ رجلاك فى الوحل ، وفى قلبك نور زائف ٠ أنت قمر آفل ، لاترين الظلمة التى تترددين فيها ٠ إنى أرى ما لا ترين يا ود !

ود : (منفعلة ثائرة) : ماذا ترى ؟

ســـامــــان : أرى انك عورة صارخة ذلا ٠ أراك أنفا أذن يسيل مخاطه قيحا صديدا ، ارضا واطية مؤتفكة لا يرويها ماء أجاج لا يوجد غيره فى هذه المدينة الآثمة ٠ فلئن بزغت نجمة صبح تحب ذاتها لكان أجدى لك من أن تأفلى قمرا ٠ لئن تكونى حمامة تشد اليها بالفضاء الارحب لكان أجدى لك من أن تلوذى بالتراب قطـة شبقـــة !

ود : سامان ! انك لاتزال طفلا يؤمن بالطهارة ، فيالخيبتى ! يوم التقينا على الدرب ، قلت انك المنتظر الذى كنت أحلم بـه فى يقظتى · كنت إخالك ستراني شمسا تسطـع فى سمـائك ، وتحسنى نارا تلتهب فى قلبك ، فتسابق الثوانى وتسبـق الطريق لتلقانى سحرا وبهـارا بين يـديك · ونختفى خلف غلالات الفجر نجمين أغفلهما الليل ، لاظل لنا كنت أتخيلـك تقبل على ينبوع حب ، فارفضك تمنعـا وكبريـاء أنثى · ثـم أندس فى حضنك وقد أغرتنى فحولتك وأقول : « وهل للحياة أن ترفض ذاتها ؟ » · وأحس بـك نارا تلهبنى كهذه الشمس التى كانت تبارك حبنا ، والتحم بك ليلة مقمرة البسك نهارا مشمسا ، لنصبح الدعة والقرار · والتقينا فى ظل « جلسد » التى عبدناها مخلصين · وضمتنا بعضا الى بعض ، منذ ثلاث سنين ، فقلت « انه الحلم قد تحقق ، اذ اتحدت بك فاكتملت ، وانى حزت ما تتمناه كـل أنثى فى سـدوم : ضممت الشمس الى جسدا حيا بديعا أباهى به الاخريات · وكانت طلبتى اليك أن تغفو عن الزمان تحرسنا « جلسد » ربتنا ، و « الفلس » · فكنت تهمهم وتقـول : « ستهمو المطر ياود · وتخصب هذه الارض ، فان بها رغبة حادة الى البذل ! » · وكنـت كلمـا التقينا تأخذ اليك بجسدى الشهى ينبوع لذة دفقا ، وشفتى كاسين من عسل مصفى · فنغرق فى الصحو ويولد النسيان ، فيغفلنا الـزمن وننسى اللحظة · وكان الـزمن اليقظ ، وكنت الغافلة · فيالسخفى ! لقد كان ظنى وهما وكنت لى خـدعة · كنت كصافر طول الليل مخافة أن ينام فيؤخذ ، تتدلى مصلوبا على الغصن ، وما دريت ! وانتابنا لصفيرك الغراب غرة ، وهوى العش ! ولم أفكر بك من قبل شعرة ستبيض وتنزع من رأسى (تستغرق فى بكاء ونشيج) ·

سـامـان : لعتمة جسدك أن تنكر وميض قلبى · ولكن ليس لقلبى أن يغرق ثانية فى الوحل · فقد آستحال الصحو الذى كانت تغزله عيناك بقلبى غيمة لاهثة وسحابة أجهضت فلا وبـل · واذا قلبى كهذه الارض الضائعة الضابعة الشهباء ، من ظما ، واذا جسمى كالبعير الضالع لايقوى على حمل سقامه · فصرخت مغلوبا : « أريد خصبـا ولا عقم ! أريد ريـا ولا سراب ! أريد بـرءا ولا سقام ! » · ودفنت الذئب الجائع الذى كنته · وأصابنى الاهمال والزهد من نفسى · وجسست الثوب الذى ألبستنيه سـدوم

فاذا هو سائس يهبو ، واذا أنا فيه دودة حشفة أذى ، كالمرأة الوحمى عزوف ، او كسحابة انتجفتها الريح فلا رغبة ولا شهوة ! ولعنت ضياعى ، والتمستك عصا أعتضد بها فى طريقى الجديدة ، فوجدتك دقيقة رخوة يذيبك المس ، رغوة الموج يفتها الصخر • وحاولت ، وحاولت « جلسد » ، فلم يقو الشبق الصارخ فى عينيك وعينيها على أن يعيدنى الى الحياة ذئبا • فعرفت أنها نهاية ما بينى وبينك ، وخاتمة ما بينى وبين « جلسد » والمدينة ، ورغبت عنك الى صحو أزلى يا ود ، فلا محيد !•••

ود : ان فى قلبك سحابا خلبا وانك لعلى أرض تيه ، سروب كحاطب فى الليل ياكلك الوهم ، فتخال الكفر « بالفلس » و « جلسد » ايمانا منك ومنة • أعرفك تكره آفتراش جناح أملك نهبا لليل والمتاهة والسراب يخدعك ، وقد قصر خطوك وامتد ظلك ، ولكنك آجتزت نهاية الطريق بحثا عن اللعنة والظل الابد • فأنت الآن حشيشة طفيلية فى وادى سدوم ، تتطاول برأسها لتلعنها « الفلس » فتيبس••• فحذار من لعنة آلهتك ، وغضب سدوم ، سامان •

سامان : انه يأس الانثى تحلم بعش وردى يضمها وحبيبها فى كوكب بعيد••• بعيد • ثم تستيقظ وفى يديها قبضة من خيبة •• أتطلبين الى أن أكون كدابة فى مملكة « الفلس » ربتكم ، أكترش لاساق الى المذبح بركة « للفلس » ولعنة لنفسى ؟ كلا ياود ! انى أرفض أن آكون نخلة سحوقا تهوى لاول زعزع . (لحظة تأمل) • انها لمباركة تلك البارقة التى بددت ما جمعنا من حب آثم ومزقت ما تبقى من الثوب الذى ألبسنيه سدوم ! كيف يمكن لك أن تعرفى أنك خابطة فى تيه ، ضالة ، غائرة فى هوة ، غائضة ؟ ضائعة يحدوك وهمك الى سراب خدعة ، ثم لا ترتدى عن ضياعك كفرا به واعراضا عنه ؟ لقد كنت ذلك الضايع التائة ياود ، ولقد عرفت .

ود : (ساخرة) : ولقد سرقت من النار قبسا طهرك من الطين ونقاك فانت سارق النار ! الآه • أوتيت حدسا هبة اللآلهة لعبادها الصالحين ! فما هذه البوارق الهاجسة فى خاطرك !

سامان : لست ابن آلهة ، فأنا أشد الناس كفرا بآلهتكم والصالحين

المقربين اليها ··· ولكن ، أتعرفين كيف يولد القرف في القلب البتول ؟ كان قلبي صفحة السماء صافية ، لا غيم يغشاها ولادخان · ثم عرفتك وساقني أبي الى آلهته فعرفتها · وكنت في دعة ألقاك دافعا الى الحياة يغريني بنفسه · وأخلو الى « الفلس » فيبعث اللقاء في قلبي ما ينبعث في قلب متطلع للنجم ، تائه · فقلت : « انها الطريق قد اكتشفتها ، وانه سر البقاء قد حزته ! » · وسرت تحدوني أشواقي اللافحة أحملك « والفلس » و « جلسد » والمدينة كلها في قلبي ، درعا يقيني نابل الوهم والقرف، وما قدرت أن تنقسم ذاتي اليك و «الفلس» و « جلسد » والمدينة ، ذواتا فروعا ناتئة عن أصلها حائدة وشعرت بها كتفا من شعث السحاب الحلب يغشى صفحة سمائي · فهي الاسن والعفن ، ولن تتمركز ذاتي ! وتولد الضجر في قلبي ، وأخصب السأم ، وطلبت مخرجا فأعياني الجوس والجهد الخائب ، حتى حدثت المعجزة ···

ود : حقا لكأنك النبي الذي قيل انه ظهر في « أور » مدينة الكلدان ألم أقل انك مختار الآلهة وصفيها الى سدوم ··· أوتيت علما وحكمة ··· والا فمن أين لك بالمعجزات ؟ ومن أين لك بالالهام؟

ســامــان : لست ابراهيم · ولكنها خاطرة ومضت في قلبي الذي أردته نقيا طهورا · فأمس قد أعتليت جبل سدوم والبحر يمتد عن شمالي صفحة زرقاء غارقة في الصحو والصفاء ، ذكرتني بعهد طهارتي ، والصحراء عن يميني ضابعة لهفى كجسدك الشبق ، أفقا عالقا بفم السراب · فذكرتني بزمان الشوق والحنين الاكبر · وقامت أمامي بدائع الكون فاذا ايماني بك و « الفلس » و « جلسد » والمدينة الحبر الحداد ، واذا دعتي وأمني باطلة الاباطيل ! انهار بناء في خلجة جفن طارف ، وأنهدت زاوية من كياني اذ قام « النظام » أمامي بديعا في أستقامته مدا وجزرا · لقد قام أمامي نظام الكون « يشف وضوحا فتنة تغرى · وقذفت بك و « الفلس » و « جلسد » من قلبي ، وأفعم صدري حنين لاهف الى الخلاص ، وتلفع ذاتي احساس بكونها ··· ولسوف تتولد في قلبي الطهارة المحض ، ولسوف تتمركز ذاتي ، وينتفي القرف والضياع !

ود : (منهارة) انك تنتحر ···

ســـامـــان : بلى ! أليس أنحرافا عن النظام أن آتيك من خلف وقد خلقت أمرأة تستقبل ؟ اليس انحرافا عن النظام أن يستدبر أبـــى « آحاب » الوسيم وبعض كهنته على فراشه ؟ بلى ! ولذلـــك انتحرت وكفرت بك و « الفلس » و « جلسد » والمدينة وانى لتاركك وتاركها .

يقوم ويتركها لوحدتها حديث خيبتها وأملها المنهار ٠

ود : (ملتاعة ، صارخة) الى أين ؟

ســـامـــان : الى وضح الطريق المهيع ٠ ان الفجر آت يا ود الى سدوم ٠ ولكنه سيرحل عنها ليتركها أنقاضا نهاية شؤما ٠٠٠ لقد حق عـلى سدوم وأهلها اللعنة وعقاب « النظام » ٠ تلك رؤياى ٠٠٠ وانى لمستقبل الفجر ٠ (ينصرف ، ثابت الخطوة) ٠

ود : (جدارا عتيقا يتداعى ، وقطارا هرما تتوقف دواليبه) : دعى يأتفك ٠٠٠ اذهب انك لمنته الى الهاوية كغيرك من الخائبين ٠٠

ــ يتبـع ــ

نظرا لوفرة الانتاج نعتـذر لـدى قرائنا ومراسلينا الكرام عن اضطرارنا الى حذف باب المطالعات والبريد بالنسبة لهـذا العدد وإرجاء نشر باقـات من الشعـر والقصـة والمقـالات الى أعداد قادمة ٠

أغنية حزن الى جينا

شعر : نور الدين صمود

... وألقَيْتُ قِطعةَ نَقْدٍ صَغيرَه
بِبِركَةِ مَاءٍ كَبيره
بِهَا كَوْمَةٌ من نُقُود
رَمَاهَا الْمَسَاكِينُ أهْلُ الهَوَى
وَقَدْ آمَنُوا بِالاسَاطيرِ والتُّرَّهَاتْ
لِكَيْ تَتَحَقَّقَ أحْلامُهُمْ
لِكَيْ يَمْحُوَ الدَّهْرُ آلامَهُم !
لِكَيْ لا يُحِسُّوا بِلَذْعِ النَّوَى
لِكيما يَعُودُوا لِهذِي البِقَاعْ .
وقُلْتُ لِجِينا : الوَدَاعْ
وَسَارَ القِطَارُ ... وضَاع
وَرُحْتُ أجُوبُ الطَّرِيقْ
بِدُون رَفِيق
بِقَلْبٍ يُحِسّ بِأنّ الْحَيَاه
تَضِيقُ ... تَضِيقْ
وَعُدتُ إلى مَوطني
ومَرّ بِيَ الصّيفُ كَالطّائِرِ المُوهَنِ
تَشُدّ خَيَالِي رُؤَى الذكريات

إلَى طَيْفِ « جينَـا »
تجُوبُ شَـوَارِعَ « رُومَـا »
فـأحْسَبُ أنِّي هُنَـاك
وأُوشكُ أمضِي لابحثَ عَنْهَـا
ولَـكنَّنِي أسْتَفِيقْ
وأُدْرِكَ هَـوْلَ المسَافَـةِ مَا بَيْنَنَـا
فَـأشعُـرُ أنَّ الْحيَـاة
تضيـقُ ... تضيـقْ

وَلَـوْ كُنتُ أمْلِكُ كُلَّ النُّقُـود
بهـذا الـوجُـود
لـرُحتُ لِـرُومَـا
لالْقَـى هُنَـالِكَ « جِينَـا »
وأُلْقِي جَمِيعَ نُقُودِي الْكَثِيره
ببِركَـةِ مَـاء كَبِيرَه .
لِكَيْ تَتَحقَّقَ أحْلامُ رُوحِي
لِكَيْ يُسْكِتَ الدَّهْرُ كُلَّ جُرُوحِي
لِكَيْ لاَ أُحِسَّ بِلَذْعِ النَّوَى
كَكُلِّ الْمَسَاكِينِ أهْلِ الْهَوَى
لِكَيْ لا يَمُرَّ بِيَ الصَّيفُ كـالطَّائِرِ الموهَنِ
إذَا مَـا رَجَعْتُ إلَى مَـوْطِنِي
لِكَيْ لاَ أُحِسَّ بِأنَّ الْحَيَـاه
تَضِيـقُ ... تَضِيـقْ .

ن. ص.

البحث في الجمال

بقلم : نور الدين بن بلقاسم

تحدثنا في عدد سابق (1) من مجلة الفكر الغراء عن العلاقة المشتركة بين الفنون وهي علاقة « حسية » تتركز على قوة الوجدان عند الفنان ، وما يترتب على تفاعله مع انتاجه من جمال او قبح في اثره الفني ٠ وسنحاول بناء هذا البحث على ضوء تلك العلاقة التي ذكرتها في البحث الفارط ٠

فما هي الاسباب التي تجعل لاثر فني ما قوة مؤثرة ، تفوق او تقل عن تأثير فن آخر ؟ وما هي الاسباب التي توفر في انتاج كل فنان معنى خاصا ؟

الاسباب كثيرة يضيق المجال عن ذكرها ، لكننا نخص منها :

ـ **اتساع خيال الفنان او ضيقه** (2) الذي من شأنه ان يمكنه من استحضار المحسوسات ، واستجماع ذكرياته ، وحفز دوافعه اثناء خلقه لأثره الفني ، اذ أن هذه العوامل لها دخل كبير في توجيه الفنان ، كما انها تعطي للانتاج المثل الاعلى الذي ينشده الفنان ٠ وليست المثل في ذات الاشخاص واحدة ، حتى ولو تشابهت بيئة فنان وآخر واتحدت ظروفهما ، ومن ثم يكون الاختلاف في المعنى الفني الذي يحاول الفنان تضمينه في انتاجه ، وحسب نظرة الفنان للاشياء ، وحسب اعتلاج العوامل الخارجية في داخله ، تتكون الصور الفنية في ذهن المصور او النحات التي يحاول كلاهما ابرازها في تمثال أو في لوحة ، ومن هنا يكون التفاضل بين أثر وآخر ٠ ومن هنا يأتي التجدد في الفن ـ تجدد معناه مع الزمن ، وأختلاف مفهومه بأختلاف الاجيال ، وبحسب ما يتضمنه الاثر من معان انسانية: كالتعبير عن الالم والحرمان٠٠٠ تكون قيمته الفنية،ويكون التصاقه بالجمهور ، لان ، « الفن ليس هدفه فقط ان يمتع ويسر ، ولكن هدفه

---

(1) راجع الفكر عدد 6 مارس 1969

(2) أقصد هنا الخيال الفني الذي يربط الشخص بالمحيط الاجتماعي والبشري ولا أقصد بالخيال ذلك الشرود والهوس الذهني الذي يجعل الفنان منقطعا عن الناس ومشاكلهم ليتأمل الجمال المطلسم المبهم ٠

يتجدد بمقدار ما يوفر لنا المتعة والفائدة معا ، بهذا يتسامى الفن ويعظم أثره»(1) فالمصير المبهم الذي يقلق الفنان ، والخوف من المجهول ، والقيم الانسانية التي تتراوح بين السلبية والايجابية ، كل هذه العوامل اذا احتواها الأثر الغني تعكس لنا نظرة الفنان الى مصيره الذاتي أولا ، والى مصير الآخرين ثانيا ، بأعتبارهم يشاركونه في هذه العوامل ، وحسب انعكاس هذا المصير تزداد قيمة الاثر . يقول فرانسوا مورياك : « ان قيمة أثرما ، هي بمقدار ما ينعكس فيه مصيرما . » ومن هنا يكون تأثير الانتاج على الآخرين ، وتكون قيمته الجمالية عندهم تتناسب طردا مع قوة تأثيره (الانتاج) . والقيمة الجمالية تقل أو تعظم بمقدار محاكاة الاثر الفني للواقع ، فليس الفن الذي يحاري الواقع البحت بجميل ، وان لم يخل من الروعة تماما . ويقول جاريت : « ان كل شيء في الفنون يكون كئيبا اذا أعوزه الخيال » .

ولعل سقراط كان غير راض عن الفن الواقعي في بلاد اليونان عندما نادى بوجوب ايجاد علاقة تربط بين الفنون حتى نصفها بالجمال - الفن الواقعي اليوناني الذي يصور الحياة اليومية ومصارعة الادميين مع الثيران .. ودور الخيال هنا اساسي لانه يزيد في القيمة الجمالية للأثر . فكثيرا ما يلمس المرء في الادب المجنح الخيالي جمالا ، كالذي نجده في الاشعار والقصص والاساطير . يقول لي هنت : « الشعر تعبير عن شغف بالحق والجمال والقوة بواسطة الخيال والتصور ... » كذلك سائر الفنون ، ومن الطبيعي أن الانسان يسأم الواقع لان ما فيه يكون مألوفا ، وألفة الشيء تقلل من جماله ، لذلك يحاول الانسان دوما تغذية حاسته الجمالية ، بالالتجاء الى الفن الذي يرسم له عالما أرحب من عالمه . يقول جاريت : « الشيء يكون جميلا اذا منحنا بصيرة خيرا من بصيرتنا تنفذ الى أعماق طبيعة الشيء ، والاشياء التي من نوعه » ...

- الجمال والصدق في الفن والطبيعة :

يمكن أن نصف الاثر الفني بأنه صادق اذا احدث تأثيرا في انسان افريقيا ، كالتأثير الذي أحدثه في انسان البيئة التونسية مثلا ، مع ثبات هذا التأثير حتى مع تغير العوامل التي خلقته ، ومن ثم تكون القيمة الجمالية فيه صادقة هي أيضا . فالجمال الصادق اذا هو الجمال الذي يدوم مع بقاء الاثر الفني !

فحمرة الفجر ، وصفرة الاصيل ، وروعة الليل ، وجمال الربيع وكآبة الشتاء ، كلها اشياء ليست صادقة في جمالها ، لان تأثيرها يزول بزوال

(1) فن القصة لاحمد أبو سعد - ص 13 - الطبعة 1 - تشرين الثاني 1959

فصولها ، فالزهرة التي تينع في الصبح وتذبل في المساء ، والشلال الذي تنعكس عليه ألوان الصيف التي سرعان ما تختفي ، هما من الاشياء التي لا يوصف جمالها بالصدق ، لكن كيف يمكن ان نصفها بالجمال مع أنها غير صادقة؟ يجيب جاريت عن هذا بقوله : « ان هذه الاشياء عندما نصفها بالجمال لها قدر مشترك مع النقوش الجميلة والشعـر الجميـل »

الجمال والحق في الفن والطبيعـة

المقصود بالحق هنا هو اظهار حقيقة الشيء عارية بدون تزييف ولا التباس .

فالزهرة في الطبيعة حقيقتها عارية ، لا تحتاج الى تأويـل كاللـوحة الفنيـة ، وذلك لانها خالية من التعقيد الذي من شأنه ان يقلل القيمة الجمالية للشيء عندنا ، ومن ثم فانها تؤثر فينا أكثر من التأثير الذي تحدثه فينا زهرة مرسومة على لوحة ، لان الزهرة الطبيعية تتضمن حقيقة جمالية بسيطة ولكنها حيـة . ومن هنا كلما اقترب الفن من بساطة الطبيعة أزدادت قيمتـه ، وتعاظم تأثيره الجمالي ومن هنا كان من الخطا أن نقارن جمال الكائن الحي بجمال الاثـر الفني مهما بلغ من الروعة ، لان الحياة التي تدب في ذلك الكائن هي نفسهـا تضفي عليه جمالا بقطع النظر عن حسنه او قبحه ، وعندئذ يمكن القول بان الحقيقـة الجمالية في الكائنات هي أبلغ تعبير عن ذاتها أكثر ممـا هي عليه في ميـدان الفنـــــون .

على ان ما يقلل من الصدق او الحق في الانتاج الفني هو التكلف والغموض الذي يعمد اليه الفنان كالذي نجده في الفن الرمزي ، فالفن الوحشي الـذي ازدهر مع بيكاسو مع ما فيه من نقمة على نظام الاقطاع والحكم الملكي هو أكثر تأثيرا من الفن الرمزي المعقد لذلك يدعو (ريشارد) الى وحدة الموضـــوع وبساطته بقوله : « ليكن الانتاج كما تشاء بشرط أن يحتوي على البساطـة والوحــــدة » : (1)

ن. ب.

Richards : principles of Literary Criticism (1)
الطبعـة الثانية . لندن . ماي 1945

من الوجد والاشياء القديمة

شعر : أحمد القديدى

إنِّي أمُوتُ وَجْداً
كَعَقَارِبٍ يَمُوتُ فِي عُزْلَتِه
تُهَاجِرُ الطُّيُورُ مِن شَوَاطِئ البَحْرِ
وَلاَ يَزَالْ
يسأمَ العشاقْ
يتعبُ الْمَلاَّحْ
وَلاَ يَزَالْ
تَضُمُّهُ عَوَاصِفُ الرِّيَاحِ
فِي رِحلةِ الإيمَانِ والكُفْرِ .
تغيب حتّى الشمس عن جثمانه
وَلاَ يَزَالْ
يبحث في تاريخه عن روعة البحر
يَنبشُ ذِكْرَاهُ
يَبْحَثُ عَن ثَرْثَرَةِ النُّورِ مَعَ الصَّبَاحْ
يَبْحَثُ عن حِوَارِ المَدِّ والجَزْرِ
أخْشَابُهُ قَدِيمَة مَعروقة كَاليَدَيْنْ
تَنْطِقُ بالانْعَابْ
بالالَمِ الْمُجْتَاحْ
بالاغْتِرَابْ
بالعَالَمِ الْفَارِغِ كَالصِّفْرِ
بالعَالَمِ الَّذِي لاَ يَدْرِي .

(2)

إنِّي أمُوتُ وَجْدا
فَاهْمِي عَلَيَّ يَا مَعبُودَتِي كَالمَطَرِ
كَالمَطَرِ المنهَمِرِ

مَدِينَةُ الْجُوعِ أنَا
مُبَاحَةُ الشَّوَارِعِ
مُوحِشَةُ الشَّوَارِعِ
مُطْفَأةُ الْغَسَقْ
يَحيَا المَوَاتُ في السُّهُولِ يَنْبَثِقْ
وَلاَ تَزَالْ
موصَدَةَ الاسْوَارِ شَوْهَاءَ ، كَوَجْهِ الْقَدَرِ
يَنْفَجِرُ الْبُرْكَانْ
والصّخُورُ تَحْتَرِقْ
وَلاَ تَزَالْ
بَارِدَةً كَالْمَوْتِ فِي رَمَادِهَا الْمُنْدَثِرِ
مَصْلُوبَةً كَالزَّمَنِ الميت
كَالصَّوْتِ الّذِي آختنق
تَمُوتُ وَجْداً للجِوَارِ المُنْطَلَقْ
إنِّي أمُوتُ صَمْتَاً
فَاهْمِي عَلَيَّ يَا مَعبُودَتِي لَفْظا ثَرِيَّ الْعِبَرِ
لَفظا ملائِكِي الوقع والينبوعْ
فَإنَّنِي مَدِينَةٌ مطفَأةُ الشُّمُوعْ
يَحْكمنِي التَّارِيخ وَاللُّصوص والقَلَق
يَحكمنِي بتَاجِه وصولجَانه
أميرِي الجوع .

(3)

إنِّي أمُوت وَجْداً
زَيْتُونَة غَائرة الجذُور
تَبْحَثُ عن يَدين تَجْمَعَانْ
حَبَّاتِهَا تَبْحَث عَن مَصِيرِ

زَيتونة غَريبةَ الاحْزان
قَديمةَ الاحْزانْ
أنبتَهَا هُنَاكَ جَدّي
تحت شُرفةِ الاميرِ
أنبتَهَا زيتا وظلاً وضِيَاء وشفَاء للاميرِ
أنبتَهَا كَالغُفُرَان
كَآيَة طَيِّبَة مِنَ القُرآن
وَلَمْ تُشَاهِدْهُ سَعِيدا مَرّة وانمَا
- يَا للزّمَان الفَاجع المَريرِ -
رأتْه ميتا وآستقبلَتْهُ جسدا نبيلا
وَارَتْهُ بالتُرَابِ زَيْتُونَتُهُ
وَارَتْهُ بالإيمَان
إنّي أمُوتُ وَجْدا
مُنْعَزِلا لَكِنّني رَغْمَ انعِزَالِي
آمَنْتُ عِنْدَ مَوْلِدي بالنُّورِ
مَلاتُ بالشمْسِ فُؤادِي
غَرَسْتُ فِي الثَّرَى جُذُورِي
وَآعْتَنَقَتْ عَيْنَايَ فَجْرا عَابِقَ الالْوَانْ .

(4)
أقُولُ لَكْ
إنّي أمُوتُ وَجْدا
لَكِنّني أحِبُّكْ
يَا وَطَنِي المَزْرُوعَ فِي دَمِي وفِي ضَمِيرِي
كَالمَعْنَى فِي اللّفْظ
كَالزّيتُونَةِ فِي الارْض
كَالقُدْرَةِ فِي الرّفْض .

أ. ق.
مارس 1969

ديكنا في دم خنجر

قصة بقلم : سالم ونيس

يجد القارىء في هذه المحاولة من النوع الهريالي اعرابا يخرج عن الاعراب المتعارف وتعابير وتراكيب عامية قصدها الكاتب. وقد آثرنا نشرها كتجربة أخرى في القصة التونسية حتى يرى فيها القارىء رأيه ونترك للكاتب بطبيعة الحال المسؤولية الكاملة .

— الفكر —

ابْعُدِي قليلا عن الدّفء الدّامىء الاصفر . ابعُدِي عن الدّفء الاصفر قليلا . إذْ أنّ أبي كان يردّد أقوالا حفظها عن أحدأجداده. سترين أنَّه أزرق لاني أغضب عندما يتهم أبي أصدقائي بالإنحراف والبلادة . إنَّهم لا يريدون تمييز الايام بالحلل والدّماء والدّعاوى . حياة قلمي باهته في الابخرة . البهتان باهت في حياة أوراق قلمي المضمخة خجلا في جُبْنِ محفظة كتبي . الاحلام ضربت نظاراتي الصفراء فتهشم إطارها الاسود ... عندما قفزتُ من الطابق الخامس من مدرستنا العتيقة . كنت أظن أنِّي سأتحطم كما زعم القيم العام ومساعدوه الثلاثة وكما ذكر القيِّمون الاربعون في اجماع تقريرهم للادارة . ولكنِّي رأيت الارض بنفسجية مُخْضَرّة . فقفزت ... عندما اصطدمت بالارض تذكرتك . التفت إلى الطابق السَّادس من مدرستنا العتيقة . الطابق السادس اصفر اللَّون فتحت عيني اليمنى وغمزت بعيني اليسرى . رايتهم أشباحا . الاشباح دوما تتحرك في تخبُّط . افتحي عينيك عندما تصطدمين بالارض . سترين الاشباح تتخبط . ولعلك ... أنا معهم أتخبط . المحطة مزدحمة بسكان الذباب . الذباب يتَرَاقصُونَ . الاهل يحبون الذبان . القطار لن يسافر . القطار يريد الذبان . القطار قرّر القيام بحملة أُسْبُوع النَّظافة . القطار لا يريد الذباب . القطار نظيف الحواشي . الاهل يحبون الذبان . القطار لن يسافر . الاصدقاء لا يريدون الذبان . القطار لا يريد الذباب . عندما كنت طائرا في طريقي كانت الطوابق تتجاذبني . وكنت أشعر بجاذبية الطوابق . كانت الشبابيك

تنبعث من أعماقها أضواء مختلفة تغريني . لكن أبي نصحني عن الإغراء . الإغراء اندفاع في رمشة عيني اليمنى الغامزة . كنت استطيع أن أنزع لها ملابسي الداخلية . كان لنا ديك بليد . قال أبي إنه بليد . قال أبي إنه لا يستحي . الديك يقبل زوجاته الاربعة أمام الاشجار . أبي لا يقبل زوجته الوحيدة أمام الاحجار . كان أبي يضرب ديكه بعكازه . ويعذبه بأن ينتف له جناحيه . ديكنا كان لا يصيح حسب الاوقات . لعل ديكنا لا يعرف تمييز الاوقات مثل الآخرين . كان بجناح ديكنا حشرجة . لعل ذلك نتيجة تعذيب ديكنا ومراقبته المتواصلة . أبي لا يحب الحشرجة . كان ديكنا يقبل قبل تدخين زوجاته الاربعة . كنت أنا أضحك بدون قهقهة . أبي يدخن ولا يقبل زوجته . أبي لا يحب القهقهة . كان ديكنا يتناول كثيرا من النفة بعد تقبيل زوجاته الاربعة . أبي يضرب حكة النفة مرتين ثم يحلها برفق وانتباه يتجمع له لعابها فيضم شفته ويبتلع ريقه جرعات عديدة ثم يفتحها ويدق نتفة بين خنصر وإبهام يده اليمنى ليودعها بين اسنانه وشفته السفلى واحيانا شفته العليا ... لقد ورث حكة النفة عن أبيه الذي تلقاها هدية من جده يوم بلوغه « سن الزواج » . إن حكة النفة غالية الذكريات . جاءت من المدينة المكرمة عندما حج جد أبي للمرة الثانية . جد أبي فكر في هدية لابنائه . وبقي الابناء يتفكرون حجة جدهم الثانية . أبي لم يعطني الحكة المذهبة . ترى هل لم أبلغ بعد « سن الزواج » . هل يريد أبي أن يتذكر أجداده دوما ... كنت أتمنى لو يهديها لي . أشعر بواجب نحو أساتذتي الذين لقنوني حكايات كثيرة عن جد أبي . كانت حكة النفة — التي لم يشاهدوها — محور دروس أساتذتي ومساجلاتهم . أبي يبالغ في تناول النفة . يمسح إصبعيه في حذائه . وأحيانا في وجه أمي . ولا يقبل زوجته . أبي يخشى نظرات الاشجار الفضولية . وكنت في الطابق الثاني فسمعت همسة لاحدى النوافذ الخشبية فاستدرت قليلا لكني شبحت أستاذي المتبرز في الغزالي وحلفائه المهللين يحادث أستاذي المتدكتر في ابن خلدون وخصومه . كدت أضيع اتجاه كتفي . فيبتر خنصر يدي اليمنى . لكن . كان أبي يكره ديكنا . كنت أحب ديكنا . كنت أرقص « الستنبالي » عندما يقبل

ديكنا زوجاته الثلاثة . ذات يوم . لم يتناول أبي النفة وليس له دخان . وجدت ديكنا في نفس مساء اليوم في حانة مع زوجاته الثلاثة يرقصون على نغمات « هوليداي » ويغنون أغاني « بريفار » ويتشاجرون بلسان « بوفوار » و « ساقان » فتوقعت كارثة وهمست في أذن ديكنا بقيتارة « ورايت » ... هلعت إلى منزلنا فوجدت أمي مفحجة على كانون يحترق فيه بخور وداد وصرغين . أدركت أن كراهية أبي لديكنا ستتوتر وستحطم درجة الوصم الريكور لأني تذكرت أن أبي كان يكره ديكنا كلما أرى أمي محرقصة مسوكة أو اشتم عليها رائحة الجاوي والصرغين أو تعلك اللوبان . أسرعت راجعا لاعلم ديكنا . وجدت ديكنا آنذاك في نشوة موسيقى « براون » . كانت طامتي الكبرى . ديكنا لا يفهمني . ديكنا يشطح « السلوي » مع طوطو (زوجته الصغرى) حدثته حديث ناصح يهوى الوعظ والإرشاد . وبسبست له مثل كلبنا الاملس الامين . لكن كان ديكنا قد غير الرقص مع موسيقى « براون » وكانت الطامة الكبرى إذ وجده صديق أبي في الكارتنا والديمينو — وكان آنذاك وحيدا في الحانة — يرقص مع دجاجته « الدجارك » على موسيقى « توم دجويس » . وصادف أن حلم أبي ليلة أنه ضيع حكة النفة فاغتاظ ثلاثة أيام واضرب عن الاكل ساعتين من كل هذه الايام . وقرر أن يذبح ديكنا . كتف أبي ديكنا بشوليقة من محرمة نفته . مسكت أمي بيدها اليمنى جناحيه ورجليه في خمسة وأحدة . وبيدها اليسرى عنقه بعد أن طلع أبي لسانه وكمض فمه ثم طلع لسان ديكنا وكمض منقاره بعنف إلى درجة أني خلت لسانه قد انقسم ثم مسك بيده اليسرى بلعومه وقبل رأسه إلى القبلة . وكانت فلفولة ديكنا تتدلدل حمراء . وكان ديكنا لا يتحرك ولا يصيح . أسلحته تحت مراقبة عظمى . تمتم أبي كلمات أسمعها منه عند الصلاة أو قبل النوم . جر أبي الخنجر ثلاث مرات على بلعوم ديكنا . خرج دم أحمر . خرج دم أحمر مزرق . خرج دم أحمر مصفر . خرج دم أصفر مزرق بدون خضرة . قذف أبي الديك بعيدا وتركه . قفز ديكنا يجري . يوزع الدم على

الارض والْحَشَائش . ينادي دجاجته الصّغرى ليقبلها قبلة الوداع . دجاجته الكبرى كانت تُقَاقِي . فرحت . صفقت بِجنَاحَيّ . صاح أبِي « قَدَّاش تُعَانِدْ . مَاحَرْ رُوحِك يَابَلْعُوطْ . أهْبِطْ ارْبِشْ التْرَابْ » . أخَذَ ديكنا لاوّل مرّة كلام أبِي . نزل ديكنا بعد أن لوى عَنْكُوشَهُ المَشْطُورِ . بِدَمِه المُغْمَى عَلَيْهِ . يتخبط بجناحيه . يَتَصَكَّكُ بِرِجْلَيْه . رَقَدَ عَلَى ظَهْرِه . عَضَيْتُ ظَهْرَ ابْهَامِي بِقُوّة الحسرة والالم المتألم . طَبَخَتْ أمّي ديكنا في بُرْمَةِ الجيران وتَفَوّرَ الكُسْكُسِي فِي كُسْكَاسِ الجيرَان . وَتَمَلَّسَ الخُبْزُ في طَابونة الجيران ... عندما كانت أمّي تُطَيِّبُ السَّرْدُوك حَدّثَتْنِي عن قصّة « البَدْرِي مَنَعْ وَالعيدُودِي يَمْ وَيَمْ » وجاءت ابنة جارتنا - الَّتِي تَسَمّيْتُ عَلَيهَا وَتَسَمّتْ عَلَيّ مُنْذُ صِغَرِ الصّغَرِ - تَسْخَرُ مِنّي وَتَتَمَنّيكْ عَلَيّ . تَتَسَاءل كَيفَ أبقى مع النّسَاء وغنّت أغنية بدوية رمزية شَيّقَة لم أحفظها لانّي كنت ثائرا . أخذت عَلْجِيَّة - زوجتي عندما اتحصل على مستقبلي - ترقص فوق رأسي وتغنّي في أذني . كنت مُقَعْمِزا أنْفُخُ نار الكَانون . صَاحَتْ أمّي محتجّة لمثل هذا النوع من تَطْيِيح القدر . غَضِبَتْ أمّي عضبة فَارَتْ منها البُرْمَةُ فكثر الدّخَان حول المنَاصب . جاءت السَّيدة فَزَعُوطَةُ - جارة أمّي وعشيرتها فِي أكل لحوم البَشَرِ - مُوَلْوِلَةَ محتجّة لان أمّي ضربت علجية - ابنتها البكر - بِالْمحْمَاشِ المُلْتَهَب . لَحسَتَ السَّيدة فَزْغُوطَه المَرَقَ الَّذي فَارَ مِنَ البُرْمَةِ . تَطَوّرَ النقاش . أخذ صبغة اللّوم على ذكريات الصّبَا الرّاحلة والتحسر على الايام المدفونة تحت أقدام النَّعْجَات ... لم أقَبِّل زوجتِي المقبلة . بكيت كثيرا . لكن . لحم ديكنا كَان لَذيذا في شهوته . أكل أبي الصدر كله . حَلّقْنَا حَوْلَ شَقَالَةِ الكُسْكُسِي . بَدَأ أبِي يَأْكُلُ بِغُنْجَايَة كَبِيرَة - كَان يقول بِأنّها مصنوعة بِاللاّمَنْيُو - عثر عليها أثناء الحرب العالمية مُلَوّحَة مَعَ حِذَاءِ لاحد الجيوش المجهولين . بدات أمّي تستعمل مَغْرَفا مَصْنُوعة من الخشب تستعملها أحيانا لتحريك الطّنْجَرة - الَّتِي بَالَ فيها كَلْبُنَا قبل ذبح ديكنا بقليل -

أو تذوق الملح . كنت واخوتي الصّغار نستعمل لحوم أيدينا للاكل ... لذلك كان تعود أبي يبدأ بالاكل . ننتظره حتّى يشرب كأسا من ماء المَاجِلِ الرّاكد . نتبعه عندما ينتصف شبعا . عندما يَضْرِب الْهَوَاءُ البَارِدُ الكسكسي فتطيق سُخُونَتَهُ أيدينا . سلم لي أبي قليلا من اللّحم الشّهي . أبي يشتم الدّيك الّذي لحمه شهي . همس في أذني أخي الاوسط حكمة علمتها له جدتي عندما كان يؤنسها في وحْدَتِهَا « أكْلُ الغَلَّة وَسَبَّان الملّة » . غَصَصْتُ بالكسْكُس الشّايح الّذي امْتَصَّ أبي مَرَقَهُ الفَاوِح . قطعت أمّي فخذ أبي الايمن . سلّمتْ لي الفخذ الايسر . إخْوتي ما بَقِيَ لهم . مسكت الفخذ الايسر بيَدَيّ . أنّا لا آكل الفخذ الايمن . الفخذ الايسر كان يبدأ دائما في دفع ديكنا على تقبيل زوجاته . كان ديكنا مُولعا في التّشَقْعُب وجمع مواقف التّبَزْدُق . أبي يكره الفخذ الايسر لانّه لا يستحي . كان الفخذ الايسر يبادر بتقبيل زوجاته الاربعة . غسلت يديّ . مَسَكْتُ فخْذَيْ أبي بكلتا يديّ . بكلّ عنف الشّباب المُضَبَّع . كنت صبيا في ثورتي وجُوعي . نَهَشْتُ فخذَيْ أبي بأسْنَانِي الخضراء الفوقية في الأمام . أكلتُ عرق فخذ أبي بأنفي . عيني كانت تختار . كانت تصمم . عيني تهوى سبيل النّجاح . النّجاح وليد الدّقّة . كان أبي يقول بأنّ عظام الدّجاج تسبّبُ أمْرَاضَ الكَلْبَنَا ـــ جاءت كلبتنا وابنها (في السنة قبل الماضية بِاحَسْرَة) يُبَصْبِصَان بِبَعْبُوصَيْهِمَا كما يفعل جَدّي ـــ (رحمة أبي عليه) عندما يكون جَالِسا ثَانيا رِجْلَيْهِ تَحْتَ أَلْيَته الشّاحبَة ـــ بِإبْهَامه سَبَّابَته . أخْرَجَ كلّ منهما لسَانَهُ وانتبهت آذانهما بكل استعداد . وكان أبي يرمي اليهما من حين لآخر قطعة من العظم بعد أن يمشمشه ويمتصه من جميع نواحيه الخارجية والدّاخلية . فيصطدم الفم في الفم في موقف غرامي قد يتطور إلى معركة يتبوّص منها الشّعر ويكثر فيها الكرّان والهرّان . وقد تنتهي المعركة بانتصار الزّوج على الزّوجة أحيانا وكانت آذان أبي تتحرّك عند نَصْبته عَلَى الْمَعْرَكَة أوْ عند تَقْليبه عَظْم ديكنا في فمه . أدْرك أخي الصّغير ... ابتسم وَفَسَّرَ لي في اذني المجاورة له لماذا سُمّيَ أبي « الْحاج بَلْغَة » في حين أنّهُ قال عن نفسه يوما بأنّه لم

يغادر المنطقة قط – كنت أطيع كلام أبي . كان أبي – مثل آباء اصدقائي – لا يعرف إلاّ الاوامر السلطانيّة . هَـكَـذَا رَبَّـاه ُ أبُـوه ُ عن صَنْعَة أجْدَادِه . كنت أطيع كلام أبي المُنْزَل من صَدْرِه . لكن عظام الدّجاج كانت دقيقة . لحم الدجاج شهيّ . إيقُعْعْعْعْعْشُه . ضَحكَ أخِي الصّغير حتّى استلقى على الارض وفركها برجليْه فَجعلت أختي منه زَرْبيّة قَيْرَوانيّة مُزيّنة . قَبّلْتُ أبي منْ أذُنه المجاورة لِي . ضحكتُ كما يضحك ديكنا عندما تغازله دجاجة جيراننا . ضربني أبي برذاذ عظام ديكنا تطاير من أنفه . أبي لا يُطيقُ أن أقبله قبل أن أغسِلَ فمي . كان أبي يحفظ الامثالَ كثيراً . حدّثني أنّه حَشا « المثل السّائر » بجانب أمثال جدوده في مُخه . كان أبي يُطَقْطِقُ عظامَ ديكه المَهْزُوم . كانَ أبي يمَرْطِقُ كثيرا عند الاكل خاصة عندما يكونُ الميكولُ شكشوكة بالفلفل الاكحل والكرويّة المُتبَّلَة أو عجّة بالمعدنوس وعَظْم دجاجات ديكنا المرحوم والفلفل الاحْمَرِ المَرْحيّ والطّماطِم المعجونة ... تَفَرّعَ أبي تفْريعة انفَجَعَت منها كلْبَتُنَا وزَوْجُهَا . جاءني ديكنا ونقر عيني اليمنى . أزال ما علق بها من رماد سَوَاقير أبي المُبَعْثَرة قَعَاميرُهَا هُنا وهُناك وشوش في أذني « فَإنّ الغَلَبة لن يُعْطُوهُ كُرْسِيَ الأوسِمة » . عند ذاك أدركت أنّ ديكنا نبيّ مجهول . وتفاءلت . أنّ أبي يكره ديكنا أنانية ، أنّه يتهم ديكنا بكونه مُعدّا وَمَاسْخُونْ ظُلْما . وتفاءلت . قفز ديكنا بعيدا وصاح بجناحيه الإثنين وَطَلَعَ ريش مُزَرْكش يُعَوّضُ مَا نتَفَهُ أبي . التَفّتْ حَوْلَ ديكنا زوجاته الاربعة التفاف الصّبيان بمعتوه القرية . وتبختر لهم . وطمأنهم . فتفاءلت . قال لهم في التبختر بما قاله لي منذ حين فانحنت الدّجاجة الصّغرى . قَفَزَ فَوْقَهَا ليُغَمّضَ عَيْنَيْه . فتفاءلت . سلمها ما افتكه منذ حين من عيني اليسرى . فتفاءلتُ . ديكنا يحب دجاجتنا الصّغرى محبّة خاصه (وهي طوطو الصّبيّة) لعل ذلك راجع إلى أنّها تلبس سروالا قصيرا كسروال « عَبْد الرّحْمَان » الّذي أضحكني به معلمي المستشهد في رمادة عندما كان يقضّي إجازته الاسبوعية بين صغار حزامه . مسكين معلمي كان بشوشا . رحمة الله عليه معلمي كانَ يحبني ويحب

تلاميذه . وكان يُقْسِمُ دائما بأنّه لا يُفَرّقُ بَيننا وبين أبنائه في رماده . رحمة الله عليهم جميعا . ديكنا يحب دجاجته الصّغرى محبتي لما أكتب . ديكنا يحب دجاجته الصّغرى محبتي لمعلمي الرّاحل . ديكنا يحبّ دجاجته الصغرى . كانت دجاجتنا الصغرى لا تخجل عندما ينزع لها ديكنا سروالها القصير أيّامَ الصّيف . كانت جميلة في جاذبيتها . كانت ساحرة في أناقتها . كانت تقهقه في مواصلة تغيير لباسها اعتقادا منها – حسب ما قال لي ديكنا يوْما من أيّام حياته – أنّ لباس البارحة قد لا يكون صالحا اليوم . كان ديكنا يشتري لها الملابس الجديدة والمؤلفات « الموضائيّة » العصريّة يوما بعدَ يوم لانّ ديكنا كان لا يحبّ بدائيّةَ النّفاق وتَسعْبُنَ خداع منتصف اللّيل . كان ديكنا يتَقَزْدَزُ جهارا أمامَ دَجاجَاته الصغريات . وقد كان أبي يفتح تكته من حين لآخر وَيَتَوَكّلُ عَلَىَ الله في تجزير بعض النعاج الوادعة بين خلايا تكته تمرح في الدّفء والرّاحة على نغمة الصّبا أو السِّيكا في بعض الاحيان . كان أبي تَطْرْبِقُ بعض أضْراسه على بعض عندما يَرى ديكنا يغازل زوجته الكبرى . يلتفت إليه ديكنا التفاتة استراحة كادح جوعان . يحك منقاره في بعضه مقلّدا طَرْبَقَة اضْرَاس أبي الصّفراء . يواصل مغازلاته المتوجة في أعصابه . كنت قد تذكرت في تلك اللحظة عجوزا فرنسية تقبل زوجها بلهفة نظّارَتيهما المزدوجتين في شارع كبير من شوارع باريس غاب عنّي اسمه وكنّا آنذاك في حافلة الرحلة الجماعية فصاح أحدنا صيحةَ صبيّ شرقي متفرنس « الشّيبْ وَلْعيبْ » فَأجَابَتْهُ العجوز بلغة مَدَامْ بُوفَاري والتفاته الإيزَابيتْ وثورة شَعَر بريجيتْ بَارْدُو « اعْمِلْ كِينْ لُخْرين » . يَا مُغْيَارْ ... يَامسكين » وكنّا قد صحنا كلّنا صيحة شرقيّة مُتَفَرْنسة إلاّ سائق الحافلة ومُرْشد – وكَانَا فرَنْسيَيْن – تَكَهْرَبَا بالصّيْحَات الشرقية المتفرنسة فَصَاحَا صيحتين فرنسيتين مُتَمشرقتَيَن . كَانَ أبي يمنعني من قراءة الشّعر . كانَ أبي مُولعا بقِرَاءَة شعْر الحَفَلاَت ومَلْزُومَات الاعْرَاس . كانَ ذيل دجاجتنا الكبرى (زوجة ديكنا العجفاء) كسروال أبي عندما يجري بدون جبّة وراء بعوضة مَرصَتْهُ في أنفه وضَرَبَ أنْفه

بشدّة القرصة . كان ديكنا لا يرافقها لاكل الدود من اكداس اللُّغْبَار لانّ دجاجتنا هذه لا تحسن العزف على الميلُوديكا . كانت دجاجة ديكنا الوسطى تعزف على البيانُو . الموسيقى عندها « مألُوف » وهديل أمّ كلثوم الباهت في العهد العُثْماني . الموسيقى عندها تنويم واسترخاء . التصوير عندها حَرْقَصَة العَرائس لِيلة زفافهنّ . ديكنا كان يحبّ الرقص فوق نغمات الموسيقى المجنونة . قالت دجاجتنا الكبرى هذه تحدث ديكنا المنشغل آنذاك بمغازلة دجاجته الصّغرى الّتي بالغت وقتئذ في اغرائه والتهاب اعصابه . كنتَ يوما ابْنا لي — وَاحَسْرَتَاه — وكنْتُ أحبُّك حبا افلاطونيا . وكان آنذاك المؤلف قدانتحر لرَفْض قصَصه . وكان الجوّ حارًا . وكان المؤلف جمع مخطوطاته وكتب مطَالعته واشعل فيها النّار ثمّ ارتمى عليها بعد أن علّق نفسه في حبل في السّقْف . وبقي يتدلى وسط النّار وقد أغلق الباب . وكنت أتوقع أنّك ستكرهني عندما تكبر لانّك كنت لا تبتعد عني . وكنت تقلقني . وكنت أطيق نبزاتكَ الصّبيانيه . وكان احدُ رُوّاد الفكر المقربين يحذّرني برفق ولطف . وكنت آنذاك نزعت أوسمته كلها . وأزلت صورته من مجموعة ألْبُومي وبحثت عن المؤلف فوجدته رمادا . وكنت قد بكيت ... ثمّ أنهجت بكاء ثمّ وَلْوَلْتُ عويلا ثم خرقته خرافة الغول المتكبر ومَآلَهُ . وقف ديكنا مغتاظا يسمع شعْرَ دجاجته ثُمّ وضع رجله اليسرى تحت منقاره ونَصَبَ على زوجته الصّغرى يَتَربَّج بهَا فظنّ أحد القرّاء (ولَعَلَّكَ أنْتَ) فَلْيَسُوفَ الرّمُوز فغضب من تأويل هذا السوء وواصل مغازلة زوجته الصّغرى . دجاجتنا الكبرى لا تطير . دجاجتنا الصّغرى تنام بجوار زوجها فوق سقف مَوَاشينا . دجاجة ديكنا الكبرى تَتَمَلْمَلُ فَوق العظام تحرسها من الحنَاش والزرْزُوميّات وَالوزَغ . قلت لابي يومَ سجن ديكنا ومنعه من تَفَلْفيس دجَاجَاته بِأنَّهُ يَتَألّمُ . فَضَرَبَني بكفه ضَرْبَة رَأيْتُ مِنْ خلاَلهَا النُّجُومَ في القائلة وَوَزْوَزَ مِنْهَا خدّي مَسَحْتُ خدّيَ الملتهب بِيدَيّ وتلهيت في معالجة ضرس خلْخَلَتْهَا كَفُّ أبي . تُؤْلمُني . وتَفَاءلتُ دَنْكَسْتُ منَ الحشْمَة . انّ أبي لا يعرف صَمْتَ الكَلاَم . أبي يؤمن بأن الكلام هو الكلام

أبي يقدس الكلام . الكلام منزّل في كتاب مبين . كان أبي يمنعني من قراءة الشعر ولكنه يقرأ الشعر قليلا ويسمعه كثيرا . كان أبي لا يُفَلِّتُ مُنَاسَبَةَ شِعْرِيَّة .

عندما تنادي أمي دجاجاتها لتناول مسحوق من طعام . كنت أضْحَكُ بالسِّرْقَة لأنّ أبي عندما يقرأ الشعر يَلْتَفِتُ (بدون أن يَشْعُرَ) إلى أمي في ابتسامة الفخّ . وعندما اسمع أمي تنادي دجاجاتها . أضحك بالقوّة لأني دَجَاجَتُنا الكبرى في حاجة إلى عصاة أبي الّتي يَتَركّزُ بها عند دخوله طريق منزلنا ويضربني بها عندما أضربه (بدون عمد) بالكرة المطاطية أو بعجلة مَرْسَادِيس حصان دَجَاجَة ديكنا الصغرى . لحم ديكنا شهيّ رغم أصبعه المشوّه بغبار زوجاته الاربعة (ليس دائما) ورغم تحول قضية « فَرَانْسْ كَافْكَا » إلى قضيّة ديبلوماسيّة على صعيد مختلف القضايا . وكانت دجاجتنا الزّرْقَة — زوجة ديكنا العاقر — تضحك عندما سقط ديكنا فوق قَصْعَة الكُسْكُسِي مَغْشِيا عَلَيْهِ . شَرِبَتْ دجاجتنا الزّرقاء هذه — سَامَحَهَا رَبُّهَا — من نزيف عنق ديكنا المتخبّط . كان أخي الصغير يبكي مثل معلق سياسي في جثّة ديكنا التي تملأ آذان قطتنا الخضراء . قطتنا خضراء تحبّ الفئران البرتقالية. كانت قطتنا لا تُحَرْقِصُ وجوه العرائس ليلة زفافهن. بل كانت تُخَبِّشُهُنّ في خدودهن. لكنّها تحبّ الدّماء الحمراء. الرسم عند قطتنا خربشة وتفرعيس تَعَقَّفَ ذيل قطّتنا . امتدّ ذيل قطتنا كالثعبان الّذي رأيته في الافلام . أحاط بَعْبُوصُ قطتنا الصّفراء برجل أبي كما وصفه معلمي — رحمة الله عليه — بالسّوار الّذي يحيط بمعاصم فتيات السّلاطين . معلمي كانَ حنُونا . أبي يمسح السّكين الحمراء في لسانه وشنباته المحزّمة بفتلات أصابعه الدّائمة . أبي لا يحب أن تبقى شنباته مبعثرة . أصابع أبي تقتل شنبات أبي باستمرار حتّى في النّوم أبي لا يحب أن تبقى السكين حمراء . وصيّة ثمينة ورثها عن أجداد لَهُ . رحمة أبي عليهم في ليلة جمعة وبعد صلاة العشاء . أبي يمقت الفضائح . أبي يضرب حمارنا عندما ينهق . الحمار يفضح الشّياطين . النّهيق تحدّ لزمجرة أبي « الهلاليّة » . كانت آذان حمارنا

تطرب راقصة « السُّلْوَى » لنهيق قطتنا الجائعة على نغمة « الجَازْ » من هجوم الفئران لمراقبة التسلح من الحل الدائم لقضيّة البقاء لله التي تعرض إليها سالم بن الصادق بن أحمد إثر محاولته للانتحار قصد شربه خليط الجافال ومادة الد . د . ت . لان السيّد « أندري مالرو » وزير الشؤون الثقافية تعرّض لاعتداء من طرف رسّام ثائر على النظام يسمى « بينسلي » الذي رماه بدهان أحمر فتدخلت الشرطة في الابان واوقفت الرسّام المعتوه في جنونه ومنعت الصّحافيين من تَنْطير خُبُزَتِهم بعرق جبينهم بمحادثته ثمّ أعلن رئيس المركز بأنّ بنسلي قال « انى رسّام ويعرفني السيّد مالرو ولم أقم بعمل خطير فقد رَمَيْتُه بدهان مائي وقمت إزاءه بدور تثقيفي » . قطَّتُنا تُخَرْبِشُ وجوه العرائس ليلة زفافهن . قطتنا نظيفة . لا تحب الاوساخ . لقد علمتها أمها تربية بيداغوجية رحمة المؤلف على أمّ قطّتنا . قطتنا نظيفة جدّا . قطتنا لا تدمي الارض عندما تجري وَرَاءَ قطيع من الفئران. أبي يدمي الارض بعكّازه عندما يجري وراء ديكنا . قطتنا لا تحب البترول . البترول أوساخ شقَاء . أبي لا يحبّ قطتنا عندما لا تحبّ الاوساخ . كان عكاز أبي يُوخِزُ الارض اليابسة . يقتل الاعشاب الطَّرِيَّة أحيانا . كان أبي مولعا بفتل شاربيه . أبي يحبّ جدّه الّذي لم يَرَهُ لان « جيمس جُوَايْس » لم يحدثه عنه . حدثني أبي كثيرا عن (جدّه) . كان جدّه يشبه أبي في شخيره عندما يكون مستيقظا على مرفق كتفه أو رافعا رجليْه فوق صدره كابن عمي الصغير تنقصه الحلوى . أو عندما يضع كفّه على خدّه ويغني « الصَّالْحي » أو « قَدّ لَبَّابُورْ » مُصَفِّقًا بِكِلْتَا يَدَيْهِ . بكلتا يديه الغَلِيظَتَيْن . كانَ جدّه مُدْمِنا في ذبح الاكباش — لم يفهم من كتاب جُوَايْس وَلَوْ كَعْبَةً وَاحِدَةً — خاصّة أيّام العيد . جدّي لم يتزوّج قطّ . كان لجدّنا ديك أصم . كان أبي يمنعني من محادثة ديكنا . لكن ديكنا لم يكن أخرس . ديكنا يصيح . ليس بكوشا . ديكنا يسمعني . لَيْسَ أطْرَشا . كان ديكنا سعيدا مُتَهَنِّيا . كان جدّ أبي هذا قد طاف بالعالم أسيرا للالمان وكان جدّي أحب امراة فرنسية علمته كلمات الطّبخ فقط لانّها كانت طبّاخة الفوج الخامس . وكان يساعدها في الطّبخ . كان ديكنا سعيدا مع زوجاته الاربعة .

بعدما انتهى أبي من أكل الدّجاج ـ دجاج لحم ديكنا ـ مسح أصابعه في شنباته ومسح شنباته في فمه . أخذ ـ كعادته ـ عودا من الحصير الذي يجلس ويصلّي وينام عليه ليُخَلِّلَ به أسنانه واضراسه . وقد ببصق من حين لآخر بصقات لا تتجاوز بصقات النَّفَّة سوى أنّها أقلّ ميوعة وأكثر احمرارا . فتح أبي حكَّة النَّفَّة وَأوْدع مَا جادت به عليه أصابعه في فمه . ثمّ أدخل سبّابة يده اليسرى في أنفه وعالج حواشيه الدّاخلية قليلا . بكلّ انتباه . حمدل . بسمل . قرأ سورة علمها له جدّه . ضحكت ضحكة مُتَخَنِّث جبّان . قهقه أخي الصغير . أخي الصغير لا يحبّ تشويه القرآن في خطإ . معلّم أخي الصّغير ـ ابقاه الله ـ أوصاهم بأن يقهقهوا عندما يسمعون خطأ في ترتيل القرآن . قهقهات الصّبيان تبلغ آذان الاعراج فلا يحرم أبي من شفاعة أجهزة الاعلام . لَعَنَ أبي المعلم لعنة مُتَعَجْرِف إلْتَهَبَتْ مفَاصلُهُ . الجيل الجَديدُ في ظُلاَل مُبين ... ألُو هُمُغفلَهُمْ . ازدادت ضحكات أخي تشنجا حتّى شرّق بريقه . بصقت أمّي على أوجهه وكان فمها محشوّا كُسْكُسا وهريسة ونفخت في عينه وحملته بعيدا منادية الاولياء الصّالحين لمسح وجه أخي ممّا علق به أثر نوبة الضّحك . انفلتت شعرة من شنبات حزمة أبي تطالب بأرائك مصنوعة من دود الحرير في أقصى اليابان أمام قصر المأمون وعلى ضفاف نهر مجردة ردّد أبي بصوت مجهور ـ خوفا من تناثر مسحوق النَّفَّة من فمه ـ القُرْعَانُ طَيَّاح فِي كُلّ ظَلاّم . سوف لَنْ يترقب أبِي دورَهُ طويلا أمام باب الجَنَّة الاوّل في « الرّيدِيشوسِي » . سكت أخي الصّغير في ابتهال . نظرت عيني غامزة حلقة تناقض الاعمار في الحلقة الخامسة . كَمَّشْتُ على حَفْنَة من الكُسْكُسي . قَفَزْتُ . هَرْوَلْتُ أتَكْتِكُ للدّجَاجَات الثَّكْلَى لتقف دقائق صمت أمام الاربعينيّة . أربعينيَة ديكنا ولا شكَ ـ لكن دجاجتنا الزّرقاء لا تحسن الفرنسية ولم تحفظ قصائد الخنساء . رَفَضَتْ دجاجتنا الحسناء (زوجة ديكنا طوطو) أن تأتي لتلبية دعاء الاوامر كانت منشغلة بتغطية دم ديكنا ـ عندما ذبح ـ بما جمعته في بطنها من زقّ وبول مدّة يومين . دجاجتنا الزّرقاء لا تحسن ترجمة الفرنسية . رفضت دجاجتنا الزرقاء الاكل وزهقت (فرحة أوحزنا أو دهشة ...) لمّا جاءت

كلبتنا الاكولة لاهثه من عينيها . لعقت تراب الكسكسي بنهم لسانها الطّويل المحمرّ . الكلاب بارعة في مسح التراب . أوصى أبي خنجره قبل ديكنا ثمّ أتى بحجرة سوداء ... ثمّ «مَعْجَنَة كَبِيرَة وقَلَبَهَا على قَعْرِهَا . دَلَكَ عليها خنجره كثيرا . وكان من حين لآخر يبصق عليهما إلى أن يلتهم أحدهما بصاق أبي . ثُمّ طعن أبي الارض « طَعْنَةَ ثَائِر » وجرح ظُفُرَ ابْهَامِهِ لِيَدِهِ اليُسْرَى ليتثبت من مَضَاوَةِ حَافَّةِ خَنْجَرِهِ . كانَ أبي لاَ يستطيعَ أن يعمل بيده اليسرى . لذلكَ تجد اليمنى تقوم بتجاربها على أبِي اليُسْرَى . يَدُ أبي اليُسرى عاجزة . لا تعرف الا نتائج أعمال أبي . رجعت أختي من « معمل الصّناعات التقليديه » . قبّلَتْ أفراد العائلة . لم تقبل أبي . أختي تخشى أبي عندما يكون في عُكّازِه . لعلّها هذه المرّة أرادت أن تمنع أبي فاخْتَنَقَتْ بخنجر أبي لان صديقتها « سعاد » لم تنجح في الامتحان فتزوجت بإبن معلمتها العجوز . لانّي سمعتها تتمتم بكلمات لم أفهمها بل لم أفهم منها إلاّ أنّها سَمِعَتْهُا تقول بأنّ الحق على حَوَاشِي الخَنَاجِر – وَنَفَاءَلْتُ – غسل أبي يديه بماء من الصّابون . ثمّ حدّثنا أحاديث طويلة كررها مرارا عديدة حتّى أنّ أخي الصّغير كان يهمس في أذني بنهاية حديث أبي كلّ ما شرع في حديثه . كان أبي ينفعل (فيبكي أحيانا) عندما يحدثنا عن شبابه وماسيه البطولية . كان أخي الصّغير يبكي عندما يضحك أبي متفاعلا مع ذكرياته . وكان قد يضحك عندما يبكي أبي . أخي الصّغير كان خبيثا . سمّاه أصدقاؤه نَعْتَا لَطِيفا نسيته . أخي خبيث . حتّى مع أبي وكان أبي من حين لآخر يستعير قصّة لاحد أصدقاء طفولته مدّة من الزّمن ثمّ يطرأ له أن يرجعها بكلّ أمانة لانّ جمعية حقوق المؤلفين شرعت في تطبيق الفصل الرّابع والخمسين من حقوق الطّبع المحفوظة . كان أخي يردّد حكمة علّمها له معلّمه – أبقاه الله – في تمارين الخطّ تقول بأنّ الذّئابَ تَعْدُو عَلَى مَنْ لاَ كِلاَبَ لَهُ .

استيقظت ذات يوم متأخرا لانّي سهرت كثيرا أحطم جماجم الدّخّان على الطّقْطُوقَة ولانّ أمّي اسمعتني أغنية من ذكرياتها في العصر الجاهلي . وجدت أبي يتخاصم مع جيراننا الّذين طَيّبَتْ

عندهم أمّي ديكنا لكنّهم غبّروا بأوساخ ديكنا أعواد البرتقال في سانيّة عندهم . وبعد أخذ وجدال وتطبيح حرف الياجور افتكّ أبي تراث ديكنا من مزبلة جيراننا . جمع ريش ديكنا في صندوق صنعه في أوقات فراغه ... بحث مدّة طويلة – لم نجد خلالها ما نأكل – عن ديك آخر يشبه ديكنا واشتراه – بعد أن وجده – بأموال جمعتها أمّي من بيع بيض زوجات ديكنا الثّلاثه . وكوّن للتمثال تاريخا للشجرة الّتي كان يقبل تحتها ديكنا زوجته الحسناء . ظنّ أخي الصّغير أن أبي قد وبّخه أحد أجداده في منامة من أحلامه . كان أبي يمنع أمّي من الذّهاب إلى أهلها لأنّ لها أخا تزوج فرنسيّة تنظف أبناءها كثيرا . أبي لا يحبّ القيل والقال كثيرا . أمّا قيل أو قال . أمّا الاثنان فالجحيش لا يطيق . كان يردّد أقوالا عن أجداده . بكلّ أمانة . وهل يجوز اللّعب بعشانا ... أبعدي قليلا عن الدّفء الدّامي الاصفر . ابعدي عن الدفء الاصفر قليلا . إذ أنّ أبي كان يردّد أقوالا حفظها عن أجداد أجداده . سترين أنّه أزرق لأنّي أغضب عندما يتهم أبي أصدقائي ...

س٠ و٠

?

فلامنكو

شعر : رياض المرزوقي

1. — اللَّيْلُ فِي اشبِيلِيَهْ
نُور بِلاَ ظَلاَمْ
صَدْرُك يَا اشبِيلِيَهْ
يعَانقُ الْغمَامْ

فِي ظَلاَم اللَّيْل لمَّا صعداَ   نَغَم مِنْ تَحْتِ كَرْمٍ ثمل
يَنْشِدُ الْحُبّ لِبَدْرٍ قد بَدَاَ   شُرْفَة مَسْحُورَة مِنْ كَسَلِ
أيُّهَا الْحَاكِم الابِي   لاَ تَقُدْنِي إلَى السُّجُونْ
أيّ ذَنْبِ لِلْمجْرِمِ   ذَاهِل، حَائِرِ الْعيُون
قَدْ سَرقْنَا حُثَالَة   وَذَبَحْنَا الْمُسَافِرِين
بَيْنَمَا بِنْتُكَ الَّتِي   سَرَقَتْ قَلْبَنَا الدَّفِينْ
وَاسْتَبَاحَتْ دِمَاءنَا   دُونَمَا شَرعَة ودينْ
حُرّة فِي حَدِيقَةٍ   تَزْرَعُ الْوجْدَ وَالْحَنينْ
"أُولي"

2. — الْحُبّ فِي اشْبِيلِيَهْ
لَحْن عَلَى الشِّفَاهْ
حَبِيبَتِي جَمِيلَة
كَأنَّهَا الْحَيَاهْ

عَابِد أسْهَرَتِهِ قَدْ سَجَدا   وَبَكَى شَوْقا إلَى الْمُرْتَحِلِ
هُوَ فِي الارْضِ وَلَكِنّ يَداَ   سَرَقَتْ رُوحَهُ قَبْلَ الاجَلِ

يَــا حَبِيبِــي عَلَى الشَّجَــــرْ   سَكَبَ الوَجْـدُ نَشْـوَتِـي
وَأنَــــا أسْـألُ الْقَـمَــــرْ   وَاقِفَــا تَحْـتَ شُـرْفَـةِ
لَيْلَـــةَ الْحُبِّ انْتَظِــــرْ   قَتَـلَ الصُّبْـح لَيْلَتِـــي
"أولي"

3. ـ الثَّــوْرُ قُـرُونُـهُ مِنْ نَــارِ
وَأنَــا فِي الشَّمْسْ
أرْقُصُ أتَمَـايَــلُ فِي الْحَلْبَــهْ
وَأرُوحُ يَمِينـا وَيَسَــارا
وَالنَّــاسُ وُقُــوف فِي جَلَبَـهْ
هَتَفُــوا ، صَدَحُــوا ، صَرَخُــوا
"أولي"
وَأنَــا أتَثَنَّــى
وَالْقَــرْنُ يُتَــابِعُنِي أسْــوَدْ
كَــالقَــدَرِ الارْبَــدْ
لاَ أسْمَــعُ شَيْئًــا ، لاَ أبْصر شَيْــا
غَيْــرَ الاحْــلاَمِ الْفِضيَّــهْ
(دُونَــا مَــارِيَــانَــا) بِذِرَاعِي
وَأنَــا أمْــرَحُ فِي حُــرِّيَّــهْ
دُنْيَايَ صُنُــوج خَشَبِيَّــهْ
فِي حَــانَــةِ "جُـوزِي" الْمَشْهُـورَهْ
أشْــرَبُ أقْـدَاحَــا سِحْــرِيَّــهْ
دُونَــا مَــارِيَــانَــا مَسْـرُورَهْ
طَــاقَــاتُ الزَّهْــرِ بِـأقْـدَامِي
أذنَــا الثَّــور الدَّامِيَتَــان أمَــامِي
وَأُحِسُّ بِـرِجْلِي تَتَخَــاذَلْ

"أولِي"

وَبِصَدْرِي يَنْشَقّ عَذَابَا
قَدْ وَجَدَ الثَّوْرُ لِمَوْتِي بَابَا
يَا أقْوَى مِنِّي بُورِكْتَ !
الْيَوْمَ سَأمْضِي ، لاَ مَجْدِي
وَلاَ (دونَا مَارِيَانَا) عِنْدِي
اللُّقْمَةُ فِي الدّمِ مَغْمُوسَةْ

"أولِي"

وَلَقِيتُ الْمَوْتَ سَيْفًا أرْبَدًا حَاصِدًا في الدّرْبِ زَهْرَ الامَلِ
هَكَذَا الدُّنْيَا شَقَاء في سُدَى تَخْتِمُ السَّعْيَ بِسَدِّ السُّبُلِ

د • م •

تنبيه من ادارة " الفكر "

ليكن فى علم قرائنا الكرام أن نادى الفكر - 13 نهج دار الجلد تونس - مفتوح كامل اليوم وأنه يمكن الاتصال :

برئيس تحرير المجلة

فى الأوقات الادارية وكذلك كل يوم جمعة من الساعة الرابعة الى السادسة مساء •

خواطر حول اصلاح التعليم

بقلم : رشيد الغالى

التربية الاخلاقية :

لقد ظهرت منذ ايام ، حركة نشيطة فى النطاق القومى ، تقاوم انحطاط الاخلاق وفساد السلوك ، وانهيار القيم ... انها لبادرة مباركة بادر بها السيد كاتب الدولة للرئاسة ، وانها وان كانت متجهة رأسا الى الكهول فحسب ، فهى مجدية جدوى محدودة لان تربية الكهل عسيرة ولان الاعوجاج شب معه وتأصل فيه وصلب عوده فان أنت لم تحسن تقويمه فانك تخشى أن يحدث الطرق احديدابات أخرى تعسر تسويتها خاصة وأن الكهل فى الاقطار الحديثة العهد بالاستقلال يعانى من رواسب تربيته السقيمة ، ومن بيئته الفاسدة ، ومن فقره وحرمانه ، الشىء الكثير ، الامر الذى خلف فيه انحرافات وعقدا نفسية كثيرة ناجمة عن اهمال المستعمر لهذا الكهل ...

وبصفتى معلما لا أرى لتقويم الاخلاق وتهذيب السلوك وتركيز القيم السامية فى الانسان ، لا أرى لذلك شيئا اسدى وأجدى وانفع من تدعيم وتقوية الواعز الدينى فى الانسان منذ نشأته الاولى أى من المدرسة الابتدائية .

الواعز الدينى : هو هذا الشعور الحاد المتولد فيك دوما ، والمتكامل فى تجدد سرمدى ، والناجم عن شعورك العميق ، وادراكك المتين وعقيدتك الثابتة بوجود اله عظيم يدفعك الى الخير ويجازيك عنه ويحظرك عن الشر ويعاقبك عنه ... هو هذا الشعور الحاد الذى يوقفك الى نفسك محاسبا ، ويردك الى انسانيتك ، ويكشف لك بشاعة انحرافك لتفر منها ، فتستقيم وتثوب وتتلاءم ...

ان افراط الطموح وتعنت الانانية فى الانسان يدفعان به الى التأله وفى طريقه الى ذلك ، وفى تحقيقه ذلك ، يكون الانزلاق والتردى فى مهاوى الرذيلة فى أوسع معانيها ، فان لم يكن الواعز الدينى فى الانسان متينا ، فان النوازع الشريرة تحتد فى النفس وتسيطر على الذات فتنساق عمياء فى مسارح الهوى

التدرج فى غرس الواعز الدينى :

ان ما يكتنف دوافع النفس البشرية وغرائزها من غموض وتلون وسيطرة توجب رعايتها رعاية دقيقة واعية ، حتى تصقل وتثقف وحتى يكـون العقـل **عقـالا** حديدا يكبل نزواتها ويقوم انحرافاتها ، لذلك يجب أن يبنى المفهـوم الدينى عند الانسان فى المرحلة الاولى على **التقديس والقبول والنزول ، ان صح هذا التعبير** ، الى أن يقره **حدسا** ثم يتدرج البناء شيئا فشيئا الى الاقرار الذهنى المبنى على المنطق ثم الى الاعتقاد الراسـخ ٠

فانظر الى المفهوم الدينى فى فجر الاسلام الم يكن مقاما على التقديس والهيبة **والاسـلام** ؟ ألم يكن ذلك ناتجا عن المستوى العقلى الذى كان عليه المجتمع العربى آنذاك ؟ ثم انظر الى وسائل الترغيب والترهيب التى استعملها القرآن وكيف انه جنح الى الصور المادية لتقريب المفهوم المعنوى لتلك الاذهان البدائية: « جنات عدن تجرى من تحتها الانهار ٠٠٠ فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية ، فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفـة وزرابى مبثوثة ٠٠٠ وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى نارا حامية ، تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع » ٠

ونجد فى القرآن الكريم الكثير من الصور البليغة التى لا استحضرها الآن ٠

ثم أنظر الى المفهوم الدينى بعد ذلك ، فى العهد الذهبى للدولة العباسيـة وخاصة الى فلسفتى أهل السنة واهل المعتزلة ٠٠٠

الم يواكب الدين الاسلامى تلك الحضارة التى التمعت وازدهرت ؟

انحدار الاخلاق الاسلاميـة :

فان كانت الاسباب التى أدت الى انهيار الاخلاق الاسـلامية كثيرة ، فانى لا أرى سببا أخطر من ذلك الذى نجم عن تلك الحركة الجدلية فى شـؤون الدين التى ظهرت فى العهود العباسية ٠ فقد انقسم المسلمـون الى أقسـام ثلاثـة ٠

فالقسم الاول تفتح فيه الاجتهاد الى تجاوز حدوده والاخلال بالقيم الدينية القيمة واستبدت به أنانيته فآثر الدنيا واستأثر بها فكان ما كان له من ترف وخلاعة وعبث واهمال للعمل المجدى المنتج ٠٠٠

أما القسم الثانى فقد آنغلق على نفسه وطغت عليه أنانيته لحب الجنة فآثـر

الآخره واستأثر بها فجمد فى حدود المفاهيم الدينية الضيقة وافرط فى التزمت وحبس نفسه فى المساجد متعبدا متزهدا مهملا شؤون العمل المجدى ٠٠٠

أما القسم الثالث ، وهو الممثل للاغلبية ، فقد تأثر بالفريق الاول وبالفريق الثانى وأباح لنفسه ما وافق هواه من الصنف الاول وركن الى الحلول المتجمدة التى وجدها فى الصنف الثانى وأصبح يشعر أنه فى حل من أعماله ، وكلما تحركت فيه عين الضمير حمل مسؤولية أخطائه أولياء الله مشائخ هذا المذهب أو ذاك ٠ فاذا « الله غفور رحيم يقبل التوبة فى آخر العمر ، واذا الحج حجرة استحمام لغسل الذنوب » فلا تثريب عليه ان سرق أو اغتصب أو اعتدى او احتال ما دام هناك الحج ، والصلاة والتوبة ٠٠٠ وهكذا انحرفت الاخـــلاق وانهارت القيم بانحراف وانهيار جوهر المفهوم الدينى الاصيل ٠٠٠

التعليم الدينى بمدارسنـا :

وهو مقسم بالمدرسة الابتدائية الى ثلاث مواد وهى العبادات يتناول فيهـا تقديم وتعريف أركان الاسلام الخمسة الصلاة والزكاة والصوم والحج والشهادة ثم القرآن وهو قسمان قرآن آيات ، فيلقن التلميذ آيات منتخبة لتدعيم دروس الاخلاق كما يلقن التلميذ من سنته الاولى الى الســادسة ســورا قــرآنية تبدأ بالفاتحة وتنتهى الى سورة الاعلى ٠ ثم يتخلل ذلك دروس فى الاخلاق ٠

ثم تأتى المرحلة الاولى من التعليم الثانوى فيسمى التعليم الدينى بالتربية الاسلامية وتقتصر فى السنة الاولى على شرح منازع الاسلام الانسانية والاصلاحية كالاسلام دين علم ، ودين فكر ، وحرية الخ ٠٠٠ أما بالسنة الثانية والثالثة فتقع العودة الى شىء من فقه الصلاة والزكاة الخ ٠٠٠

ولا يطالب التلاميذ بمواصلة حفظ **شىء من القرآن !**

وللحكم على صلاح الشىء أو عدم صلاحه فلا بد أن ننظر الى نتائجه ، وانى أقترح على الاذاعة والتلفزة الوطنية ، أو على من اراد ذلك ، أن تقوم ببحث فى صنف طلاب الجامعة يتناول شؤون الدين والتدين ، وانى أشير الى اسئلة على سبيل الارشاد لا التحديد :

ـ هل أنت متدين ؟

ـ كيف تفهم الدين والتدين ؟ هل تؤمن ، بكل صدق ، بوجود اله ؟ لمـاذا أنت مسلم ؟ اذا أخطأت هل تخشى عقاب الله أم ماذا ؟ هل يرافقك الشعور بوجود اله عظيم كلما أقدمت على القيام بفعل مهما كان نوعه ؟ هل تصلى ؟ هل

صليت ؟ هل ستصلي ؟ ما هي الغاية من الفروض الدينية ؟ هل تحفظ الآن جيدا شيئا من القرآن ؟ ۰۰۰۰ الخ ۰

وهكذا بت أطرح على نفسي السؤال التالي : ما هو مدى عمق الواعز الديني في ابني ، هذا الذي سيواصل تعلمه الثانوي والعالي وسيتشبع من مختلف الفلسفات الوجودية منها وغير الوجودية ؟ وهل سأراه يوما متدينا ، مصليا ، أو اماما؟ والا فلماذا المساجد ولمن تبني؟ قال لي أحدهم : لماذا تطلب مني أن أكون متدينا لأكون متصفا بصفات خلقية كريمة ؟ ان العقل السليم كفيل بأن يردع الانسان ويوجهه الى السراط المستقيم ۰ فقلت له : قد يكون ذلك صحيحا ولكن هذا العقل الحصيف لا يوجد عند كافة الناس أو عند جلهم على الاقل ثم ان لمنطق العقل رحابا فسيحة واستنباطات كثيرة وسفسطائية مفحمة ۰۰۰ وأما الغاية من التربية الخلقية المبنية على التدين الصحيح المنبثق عن ايمان وعقيدة **هي هذا الحضور الدائم لهذا الشعور الذي يشعرك بوجود قوى خفية عظيمة** ترقبك وتدفعك للخير وتعاقبك على فعل الشر ۰ فانظر الى كم من عالم علامة استعمل كل طاقاته وذكائه ودهائه وصبره وجلده ومعاناته لاختراع هذه المدمرات التي تهدد الانسانية بالمحق الشامل ، فلو كان هذا العالم متخلقا ، متدينا بالمفهوم الديني الذي أشرت اليه آنفا لصرف مجهوداته هذه فيما ينفع البشرية ۰۰۰ ثم ابحث عن أعمق اسباب ظهور الالحاد والعبثية واللادينية أو اللائكية في عصرنا ، فلن تجد سببا أقوى من عدم تأصل الواعز الديني في الانسان ۰

مقترحات :

لتركيز وتدعيم الواعز الديني في الطفل لا بد ان ننطلق ، في تلقين التعليم الديني ، **باشعار** الطفل بالمعنى الديني **وبدفعه الى قبوله** في جو من **الهيبة والتقديس والخشوع** ۰ فالاشعار عند الطفل في السنوات الثلاث الاولى من تعليمه الابتدائي يكون أجدى من الافهام لان مدركاته العقلية محدودة ولان المادة الملقنة مادة ميتافيزكية عصية على عقل الطفل الذي يعتمد في تلقية المعرفة على حواسه ۰ على أن يتدرج به الشرح شيئا فشيئا في صور مادية مجسمة ۰ وأقترح :

۱ ـ أن يلقن الطفل حزبا كاملا من القرآن خلال السنوات الست للتعليم الابتدائي ۰ فالحفظ ينمي الذاكرة ويقويها ويدربها على الاختزان والاحتفاظ ثم ان القرآن ، بأسلوبه البديع ، ثروة لغوية تحفظ اللسان من اللحن في النطق ، وفي امكان التلميذ ، فيما بعد أن يستغل هذه الثروة في دراسته وكتاباته ۰۰۰ *وللقرآن اعجاز بلاغي يبعث في النفس شيئا من الراحة لا*

يبعثها الشعر أو غيره من بديع الحرف ، ثم إنـه لا ضير من ان يحفظ المسلـم شيئا من القرآن الكريم •

2 ــ أن تفتح الدروس فى مرحلة التعليم الابتدائى بحصة فى القرآن تكون قصيرة (15 دقيقـة مثـلا) •

3 ــ أن لا تضبط حصة أسبوعية لدروس الاخلاق فى جدول الاوقات وانما يكون درس الاخلاق وليد حادثة حدثت فى يومها أو استنبطت ، أو تكون مولدة عن معنى قرآنى وارد فى نص الآيات القرآنية المراد تلقينها فى هذا اليـوم ، فينسج المعلم لذلك قصة متكاملة العناصر •

4 ــ أن تكون دروس العبادات مطبقة من طرف التلاميذ ، فبالاتصال بالاولياء وبتأثير الشعبة الدستورية الجهوية والاذاعة والتلفزة نصل بالطفل الى التعود على القيام بواجباتـه الدينيـة •

أمـا بالتعليـم الثـانوى :

فيكون الطفل قد بلغ مرحلة من نموه العقلى تهيئه ، شيئا فشيئا ، لقبول المعانى التقريرية ، المنطقية ، فيكون تدريس التربية الدينية مبنيا على امرين :

أ ــ أن تشرح شؤون الدين **شرحا مفصلا دقيقا** يؤدى الى الاقناع والقبول عـن رويـــة •

ب ــ أن يكتنف هذه الدروس الجو الخشوعى التقديسى ، ولابد أن **ينبـع** هذا الجو من الاقناع والاقرار والاعتقاد ، حتى تتلاقى القيم الاخلاقية المنطقيـة بالقيم الدينية ، فتقول الاخلاق هذا **حسن وذاك قبيح ويقول الدين هذا حلال وذاك حرام** • فتصبح الغاية من القيام بالصلاة لا الحصول على الجنة ، وطاعة لفرض الهى ، وانما الصلاة « تنهى عن الفحشاء والمنكر » تقوم الاخلاق فـــى الدنيا واذا استقامت اخلاقك حسن سلوكك فى حياتك واذا كان لك ذلك عم نفعك وطهرت نفسك ، وازدهر مجتمعك ، وقد يتجاوز نفعـك مجتمعـك الى المجتمع الانسانى ، وبذلك **فحسب** تنال الجنة •

ولذلـــك أقتـــرح :

1 ــ أن يتواصل تدريس التربية الدينية كامل السنوات الست للتعليم الثانوى ، فيتناول أمهات القضايا الدينية بالدرس حسب برنامج يضبط •

2 ـ أن يتواصل تحفيظ القرآن فى مرحلتى التعليم الثانوى الى حد أدنى هو الستة أحزاب ، تكون موزعة كما يلى : التعليم الابتدائى : حزب •

مرحلة التعليم الثانوى الاولى : ثلاثة أحزاب موزعة على ثلاث سنوات مرحلة التعليم الثانوى الثانية : حزبان موزعان على ثلاثة أعوام •

3 ـ أن يلقن القرآن نصوصا تدرس دراسة عميقة ثم يطالب التلميذ بحفظها وأن يشارك فى تدريس ذلك أستاذ التربية الدينية وأستاذ العربية •

4 ـ أن لا يرتقى تلميذ من فصل الى فصل الا بعد ما يجيد حفظ القسط المقرر فى برنامج السنة مع استذكار ما وقع حفظه فى السنوات المنصرمة •

تلك خواطر أردت أن أطرحها لعلها تساعد رجال اصلاح التعليم فى بلادنا فى اصلاحهم ، وما دفعنى الى ذلك الا ما نشاهده من تفسخ اخلاقى فى بعض شبابنا ، وما نلاحظه من غربة هائلة بين الشباب والدين وبين الاقوال والصفات والاعمال ••• ولعلنا اذا عالجنا الداء بل اذا عالجنا الداء فى المهد نتمكن من القضاء عليه ، وتأمن ما وقع فيه شباب بعض الاقطار المتحضرة من البدع والمذاهب المشينة والمتنكرة للاخلاق ، فاخرج الى الشارع وانظركم يتعشق شباب الاقطار الحديثة العهد بالاستقلال التقليد الاعمى •••

د• غ•

كلمات منثورة

بقلم : البشير المجدوب

يتصافح الناس بالقلوب لا بالأيدى ٠

★

بك صمم من فرط ثرثرتك ، إنك لم تعد تسمع غير صوتك ٠

★

الكتابة الحق خروج من المناجاة إلى الحوار ٠

★

الفن ملح الحياة ٠

★

الفن ومضة المطلق فى سماء اللحظة ٠

★

أما ترى شجرة الألم زاكية مهدلة الأغصان دانية القطوف ! ؟

إنها تتغذى من كل شىء ، حتى من ذاتها ٠

★

أحسن طريقة للتغلب على خصمك ٠٠٠ مصالحته ٠

ب٠ م٠

فدائيـــات

شعر : محمد الحبيب الزناد

إلى الشاعر الفلسطيني « محمود درويش »
دفقا فدائيا ووعيا أليما .

1 ـ استفـــزاز

أُقْلِقُكُمْ بِأَشْعَارِي
وَأُشْعِرُكُمْ بِالْبَرْدْ
أُبَرِّدُكُمْ عَلَى نَارِي
أُرَشُّكُمْ بِالشَّوْكِ لاَ بِالوَرْدْ
وَأَسْجُنُكُمْ بِأَفْكَارِي
أَنَا مَا مَسَّنِي السَّعْدْ
وَلاَ زَقْزَقَتْ فِي النُّورِ أَطْيَارِي

أُضْحِكُكُمْ إِذَا شِئْتُمْ كَمِثْلِ الْقِرْدْ
وَأُبْكِيكُمْ بِأَشْعَارِي
وَلَكِنِّي مَهْمَا أَمُتْ أَمُتْ
سَيَبْقَى اللَّحْدْ
سَتَبْقَى غُرْبَةُ الدَّارِ
لِتَقْبِرَ فِي عُيُونِكُمْ عُرُوقَ الْحِقْدْ
وَتَفْتَحَ فِي الْفَجْرِ إِعْصَارِي ! !

2 ـ المشـــدود

كَانَتْ يَهُودِيَّهْ
مُجَنَّدَةً ذَكِيَّهْ

وُلِدَتْ فِي سَنَوَاتِ الْحَرْبْ
أكَلَتْ مِنْ مَطَابِخِ الْعَالَمْ
سَاحَتْ فِي الارْضْ
كَبُرَتْ عَيْنَاهَا ...

مَا فتِئَتْ تَدُورْ
أطَلَّتْ عَلَى مَشَارِفِ الْبَخُورْ
أطَاحَتْ بِالسُّورْ
تَرَاءَى لَهَا أنَّا الْجَانِبُ الْمَغْمُورْ
مِنَ الدُّنْيَا ،
تَرَاءَى لَهَا أنَّا الْجَانِبُ الْمَقْهُورْ

أمَّرُوهَا عَلَى قَلْبِي
جَلَبُوهَا إلَى دَرْبِي
لاَ كَمَا تُجْلَبُ الإمَاءْ .

كَانَتْ يَهُودِيَّهْ
مُجَنَّدَةً ذَكِيَّهْ
كَبِيرَةَ الْعَيْنَيْنْ
تَتِيهُ كِبْرِيَاءْ .

كُنْتُ كَأهْلِ الشَّرْقْ
أبْتَسِمُ لِلْعِشْقْ
قُلْتُ لَهَا : أُحِبُّكْ !
فَمَنَعَتْنِي جَرْعَةَ مَاءْ
وَشَدَّتْنِي إلَى عَيْنَيْهَا
إلَى عَيْنَيْهَا الكَبِيرَتَيْنْ
شَدَّتْنِي بِبُنْدُقِيَّهْ !!

م. ح. ز.

أبى والحمار

قصة بقلم : محمد باردي

– أبى هل سنعود ٠٠٠؟

– لا يا بنيتى ، سوف لن نعود ٠٠٠!

– دميتى تركتها عند أبناء الجيران ٠٠٠

– خذيها معك يا عزيزتى ، سوف لن نعود ٠

* * *

جفت أراضينا ، وهزلت شياهنا ٠٠ وكلحت وجوهنا ٠٠ أحرقتنا الشمس وأصابنا الجدب شجر الرمان هزيل ٠٠ وأغصان المشمش عارية ٠٠٠ عناقيد العنب أيبستها أشعة الشمس ولم تينع ٠٠ وحتى نخيلنا سما وتعالى فرق عوده وصلب ٠٠ فلم نعد نلحق عراجين التمر ٠٠ صغار واحتنا لم يعودوا يأكلون التمر ٠٠ لم يعودوا يقطفون الرمان ويمتصون عناقيد العنب ٠ لم يعودوا يتحاذفون المشماش وهم يتمرغون فوق الحشائش المظللة بأشجار العنب والخوخ والرمان ٠٠٠

قلت لأبى :

– ما هذا الرحيل يا ابت ٠٠؟ أما زلت تخشى النهر ٠٠ ألا ترى كيف حولناه خارج غاباتنا ٠٠ حولناه يا أبت بسواعدنا السمر ٠٠ وأقمنا فيه سدا عملاقا عنيدا يصد الأمواج ٠٠ أما زلت تخشى النهر يا أبت ٠؟

– لا يا بنى ولكنى أرى حيواناتنا عجفاء بها شوق الى الماء والخصوبة ٠٠ وأرضنا يابسة قاحلة ٠

– ولكن أمى مريضة يا أبى ٠٠ أما رأيت ذلك السعال الذى انتابها والذى يعاودها فى كل لحظة ٠٠ فدعنا من الرحيل يا أبى ٠٠ ولنقم فى ارضنا ٠

ـ لا يا بنى يجب أن نرحل ٠٠ أمك فى حاجة الى الهواء الطلق فوق الجبل فى حاجة الى اكل حشائش الجبل ٠٠ سترى كيف تغدو أمك ٠٠ ستعود اليها نضارتها وتعود لك كما عرفتها وأنت طفل ٠

ـ وأرضنا يا أبى ٠٠ لمن نترك أرضنا يا أبى ٠٠

ـ (٠٠٠٠٠٠)

ـ وأرضنا يا أبى ٠٠ لمن نترك أرضنا يا أبى ٠٠؟

ـ هذه الارض ليست ارضنا يا بنى ، انها ملك لله ٠٠٠

كانت أمى تقول لى عندما تعدنى شيئا ٠٠ سأعطيك اياه ان شاء الله وان شاء أبوك٠٠٠ مشيئة الله تحتاج الى مشيئة أبى٠٠ ولكنى آمنت هذه الليلة أن مشيئة أبى قبل مشيئة الله٠٠فلقد شاء أبى أن نرحل٠٠قضينا ليلتنا صامتين٠٠ لم يرد أحدنا أن يتكلم ٠٠ فقد بدا على أمى وجوم عميق ٠٠ وهى التى عودتنا بحديثها الشيق رغم نوبات السعال التى تفاجئها كل ليلة ٠٠ كانت تحدثنا عما يدور بينها وبين الحاجة مبروكة من حديث طريف ٠٠٠ ستترك أمى كل هذه الاحاديث ٠٠ لن تجالس الحاجة مبروكة التى طالما آنستها ٠٠ غادر أبى دارنا الى ساحة القرية ليودع أصحابه ٠٠ كان يحبهم جميعا ويأنس اليهم فما شكا أحدهم يوما ٠٠ كان يقول ٠٠ الجيران أوصانا بهم رسول الله ٠٠٠

أخذت أمى تحمل أوانى الطبخ الى المطبخ لتجهز لنا غداء الغد نأكله أثناء طريقنا ٠٠ لقد حاولت أن أثنيها عن عزمها ٠

ـ لسنا فى حاجة الى فطور يا أمى ٠٠ ثم أنت مريضة يا أمى ٠٠

ـ وماذا يفعل أبوك غدا ٠٠؟

ـ لكن أبى مسافر غدا ٠

ـ أجل ولكن المسافر يحمل زاده معه ٠

صدقت أمى ٠٠ كل مسافر يحمل معه زاده ٠٠ كانت أمى تخاف أبى ٠٠ فهو سرعان ما يغضب ويشتد غضبه ٠٠ وكم يسخط عندما لا يجد غداءه جاهزا عند رجوعه من الحقل ٠ فيصرخ ٠٠ ويشتم ٠٠ ويقسم ٠٠ فتبكى أمى ٠٠

ـ لماذا تبكين يا أمى ؟

ـ لا شىء يا عزيزى ٠ لا شىء ٠٠ اذهب ألعب مع ابناء الجيران ٠٠٠

قالت لى مرة عندما كنت جالسا على احدى ركبتيها وأختى جالسة على الاخرى ٠٠

ـ أمنيتي يا ولدى ألا تكون مثل أبيك ٠٠ ألا تبكى زوجتك ٠٠

وابتسمت ٠٠٠ فشعرت بأنى سأبكى فأجبتها بصدق واخلاص :

ـ لن أكون مثل أبى يا أمى ٠٠ لن أكون مثل أبى ٠

ونقمت على أبى ٠٠ لم أدعه يوما يشتم أمى ٠٠ لم أدعه يوما يصيح فى وجهها ٠

ـ انها أمى يا أبى ٠٠ انها أمى يا أبى ٠

طبخت أمى غذاءنا وعاد أبى بعدما ودع اصدقاءه ونمنا ٠٠٠

* * *

نسيم الصباح ما زال باردا وأشعة الشمس لم تمزق بعد الفضاء الكثيف ٠ فأخذنا طريقنا بين الحقول الشاسعة ٠٠ كان أبى راكبا حماره القصير ومعه أمى ٠٠ كم كانت أمى يزعجها نهيق الحمار ٠٠ فلم تدن منه قط ولم تركبه أبدا ولكن أبى شاء هذا الصباح ٠٠ قالت له هذا الصباح :

ـ إنى أخشى أن يحطم هذا الحمار عظامى ٠٠ ألم تحدثنى أنه حمار حرون ٠٠٠

ـ أجل ٠٠ ولكنه لن يحرن فى رحلتنا ٠٠

كنت أمسك أختى من يدها الصغيرة نتبع الحمار فى صمت ثقيل ٠٠ أختى لم تعرف الصمت أبدا ولكنها اليوم كأنها قطعت لسانها ٠٠ كنت أريد أن أسألها لماذا صمتت ، لماذا لم تضحك ضحكاتها الصبيانية البريئة ٠٠ أردت أن أسألها ولكن حرارة الشمس لم ترتفع بعد ٠٠٠ عندما تسخن السماء فوق رؤوسنا وتحمى الارض تحت اقدامنا ستتكلم أختى وسأتكلم أنا ٠٠ حتى أمى ستتكلم ٠ كلنا سنتكلم ٠٠

قالت أختى !

ـ انى تعبت ٠٠ قدماى أحرقتهما حرارة التراب ٠٠

لم أشعر بعد بحرارة التراب ٠٠٠ ولكن قدمى أصلب من قدميها ٠٠ صحيح قدماها لا يتحملان هذه الحرارة ولكن حمارنا متعب ٠٠ قد دبر ظهره وانسلخت ركبتاه الاماميتان ٠٠ قلت لأبى يوما وقد وجدته يطلى ظهر الحمار بدهن القار ٠

ـ لنبع هذا الحمار يا أبى ٠٠ ألا ترى أنه قد هرم ويكاد ينتهى ٠

ولكن أبى كشر ولاح على وجهه امتعاض ٠٠

ـ كيف تقول هذا يا صبيا ٠٠٠ هذا الحمار ورثته عن أبى رحمه الله ٠

هكذا كان يقول أبى كلما حدثته عن الحمار ٠٠٠ يريد أبـدا أن يعيش على القـديم ٠٠٠ .

أخذت أختي ووضعتها فوق كتفى ٠٠ وسرنا ٠٠ أحسست بجبينى يندى عرقا ٠٠ حرارة الشمس تذيب جسدى عرقا ٠٠ حرارة الشمس تذيب أجساد الفلاحين عرقا فى الحقول القاحلة الممتدة عدد من الفلاحين قد اختلطوا رجالا ونساء وأطفالا ، يحفرون الارض بمساحيهم الثقيلة ويقلبون التراب ومع ذلك كانوا يغنون ويضحكون ، فتصل أصـواتهم الخشنـة الى أمى فقالت تحـدث والـدى :

ـ انظر اليهم ٠٠ انهم سعداء يغنون ٠٠ رغم تعبهم يغنون ٠٠ رغم جوعهم يغنون ٠٠ دائما يغنون ٠٠

أجابها والدى :

ـ سيكلون مهما غنوا ٠٠ ثم يهجرون هذه الارض كما فعلنا نحن ٠٠

كنت من حين لآخر ألقى نظرة على أمى التى لا تريد أن تتكلم إلا لضـرورة تدعوها الى ذلك ٠٠٠ ألقى عليها نظرة جزع وخوف ، أخاف أن يعـود اليهـا السعال ٠٠ هذا السعال الذى ينتابها فى بيتنا القديم ، وزادت رطوبته حالتها سوءا ٠٠ كنت أخاف أن تنتهى أمى ، واذا انتهت فستنتهى حياتى فوق أرضنا التى تحرقها الشمس فى الصيف وتجمدها الرطـوبة فى الشتـاء ٠٠ وعندها سأرحل الى الأبد رحلة ما بعدها رحلة ٠

أختى تداعب جبينى بيديها الصغيرتين ٠٠ يظهـر أنهـا قد ملت ركـوب كتفى ٠٠ قالت :

ـ متى سنصل يا أبى ؟

ـ (٠٠٠٠٠٠) لم يجبها أبى ٠٠ فعادت تقول :

ـ ما أطول هذه الطريق يا أبى ٠٠

ولكن أبى لم يستطع هذه المرة أن يخفى غيظه فصرخ فيها :

ـ أما سكت يا ملعونة ٠٠ قطع الله لسانك ٠٠

ثم قال كأنه يخاطب أمى :

ـ هذه الملعونة ما تنفك تثرثر ، فى البيت تثرثر ، وفى الطريق تثرثر ٠

حقا ، لقد تعبت أختى ركوب كتفى ٠٠ أما أنا فلم أتعب بعد ٠٠ ولكن صلابة كتفى تؤذى فخذيها الغضين ٠

ونظرت الى أمى من جديد ، فتيقنت أنها تشعر بضيق فى صدرها ، فهى لم تجب والدى عندما خاطبها ، وكانت عادتها أن تتلقف كلماته فلا تترك أبدا كلمة من كلماته تمر دون أن تعلق عليها والغريب أنها لم تعارضه أبدا ، فقوله دائما هو الحق كل الحق ٠٠٠

وعاد الى أمى سعالها ٠٠ فأوقفنا الحمار وأنزلناها ٠٠ ثم نزلنا تحت شجرة مشمش كثيفة الاغصان وأسندنا أمى الى جذعها ، وبقينا ننتظر ٠٠ نظرت الى أختى فوجدتها تبكى بكاء صامتا فأخذتها فى أحضانى ٠

ـ مالك تبكين يا عزيزتى ، هل أنت صغيرة ٠٠ ولكنها مسحت دموعها عندما رأت أمها تلتفت الينا وعلى شفتيها ابتسامة باهتة :

ـ لقد أعيانى ركوب الحمار ٠٠ يجب ان نعود الى بيتنا القديم حيث سأجد راحتى ٠٠

واتجهت أنظارنا الى أبى ٠٠ لقد كان ملتفتا نحو الجبل المتشامخ كأنه لم يسمع حديث أمى ٠

ـ عد بنا يا أبى ٠ نريد أن نعود يا أبى ٠٠ أرضنا يا أبى ٠٠ بيتنا القديم يا أبى ٠

ـ (٠٠٠٠٠٠)

ـ دميتى تركتها عند ابناء الجيران يا أبى ٠٠

لم يجبنا أبى ، بل ظل محدقا الى الجبل ثم امتطى حماره الادبر ٠

ـ إنى ذاهب الى ذاك الجبل لأقدم لأمكما حشائش الجبل ٠٠ فانتظرونى ٠

ووخز حماره فانطلق يعدو ٠٠ لم يعد حمار أبى حرونا ٠٠ ونظرنا فى طريق الجبل فلم نعد نرى أبى ٠٠ لقد غاب أبى ٠٠ غاب أبى والحمار ٠

* * *

حوانا الظلام ولما يأت أبى ٠٠ عادت الشمس ولما يأت أبى ٠٠ عدنا الى بيتنا القديم وجعنا وعطشنا ولما يأت أبى ٠

م٠ ب٠
8 فيفرى 1969

الزيـــف

شعر : الطاهر الهمامى

كَـانَتْ تُدْفِئُنَـا عَيْنَـاكْ
بِـالامْسِ ، وَكَـانَتْ عَيْنَـاكَ مَسِيرَةَ أفْـرَاحْ ،
تَعْبِيرا فِي الزَّمَـنِ المشْحَـاحْ
كُنَّـا نَخشَى أنْ تَـأكُلَنَـا الْغِيلاَنْ
نَفْـزَعُ لَهُمَـا
نُفْضِي لَهُمَـا بجَمِيعِ الاحْـزَانْ
كَـانَ أبِي لاَ يَفْتَـأُ يَـرْوِى عَنْ سَنَـوَاتِ الْحَـرْبْ
عَن رِحْلَتِـهِ الْبَحْـرِيَّةِ قَبْـلَ وِلاَدَتِنَـا
عَمَّـنْ أُعْـدِمَ فِي قَـرْيَتِنَـا
يَتَضَجَّـرُ من هَـوْلِ الْحَـرْبْ
كُنَّـا نَنْهَـارْ
نَستحلِي الشَّنق على الهُدْبْ
نستحلِي الشَّنق على النَّـارْ
نستحلِي الصَّلْبْ
كَـانَ مُحَيَّـاكِ العذْبْ
يَتَـوَالَـدُ فِي ظلْمتِنَـا أقْمَـارْ
كُنَّـا نَحلُمُ بـالامْـوَاجِ وبِـالصَّيفْ
بِبِـلاَدٍ يَحكُمُهَـا الْحُبّْ
مَـا كُنَّـا نعلَمُ سَاعتَهَـا أنّ عَلَى الـدَّرْبْ
سَيُواجِهُنَـا يَـوْما غُـولٌ يُـدْعَـى ...
يُـدْعَـى الزَّيْفْ !

ط . ه .

امرأة صغيرة

قصة بقلم : حسين الواد

انها امرأة صغيرة ولطيفة ، ولكنها صعبة · فتـارة أقول : هى أمنـع من « تل أبيب » ، وتارة أخرى أقول : هى أبعد من القمر · لهذا فانى لم أبعث فيها لائحة الى مجلس الامم المتحدة ، ولم أكلف نفسى مشقة استعارة أبولو 8 ويقينى أن ما فعلته معها كفيل بفتح « تل أبيب » ، وبالعروج الى الشمس فى نفس الوقـــت ·

أنا لا أعتقد أن فى علاقتنا ــ أنا والمرأة الصغيرة ــ ما هو جدير بالاعتبار · فقد تعارفنا من زمان ، وتحدثنا من بعيد ، وطرقنا عدة قضايا ، وشكاكلانـــا لصاحبه مخاوفه ، وتعاهدنا على خلق المستحيل ، واتفقنا على السير فى طريق لم يسلكها أحد من قبل ·

وكانت وعودى لها عديدة وخطيرة ، ولكنى لم أهن أمام الاحداث ، ولـم أضعف أمام العراقيل ، فخلقت من الصراع معنى لوجودنا ، وألبست هذا المعنى ثوب التفلسف ، وتأبط كلانا ذراع الآخر ، وسرنـا لا نكاد نلـوى على شـىء ·

ولكن صاحبتى الصغيرة جموحة الطبع ، صعبة الانقياد ، ولعلها رأت فى سيرها معى فى دربنا المختار ، وفى نشدانها الى جانبى أهدافنا المحددة ، معرة لها ، ومحقرة لكبريائها ، واستهانة بشخصها · فغضبت وتمردت وثارت · وكان غضبها صمتا ، وتمردها غموضا ، وثورتها تناقضا : ومنْ يومهـــا أضعنا الطريق ، وبدأت القضية :

فهى تغار من لا شىء ، وهى تهدد بلا شىء ، وهى تصارع لا شىء وتهادنه ، وأنا منها على وجل وحيرة ، فتارة أقول جنت ، وتارة أنسب الجنون لنفسى · ولكن ذلك لم يحل القضية ·

وهى لا تنقل لى الا فضلات أفكارها · ولا تحدثنى الا عن مـلاحقة الآخـرين لها ، والا عن رغبتهم فى التزوج منها · ولقد سمحت لنفسها بمراسلة بعضهم·

وأصبحت تتعمد اثارتى بذكرما قالوه لها فى رسائلهم ، واذا هددت بالقطيعة اتهمتنى بالغيرة ووصمتنى بالضعف وحقرت من شأنى الى أن يخرسنى الخجل أو تظاهرت بالجد وباحت بذات النفس الى أن أصدقها فأعمى وأسكت •

وهى لا تريد أن تسير معى فى شوارع المدينة ، وحجتها فى ذلك انها تخشى أن يرانا اللصوص فيذكرونها بالسوء فى منتادهم ، وهى تبيح لنفسها مسايرة الآخرين ، واذا ناقشتها فى هذا التناقض جابهتنى اما بالصمت وتحته ما تحته من حقد وازعاج ، واما بقولها اننى مشهور وان أغلب الناس يعرفوننى وان فى سيرها معى مغامرة ••• وأصدقها وأكذب عقلى وأعزى النفس بالصبر

واذا لانت ـ وما أندرما تلين ـ وسارت معى فى الشوارع أكثرت من الوقوف أمام الواجهات ، وهى تفعل ذلك فجأة ودون أن تطلب منى المشاركة أو الانتظار وأتمزق بين متابعة السير وحيدا وما فيه من مشقة ، وبين الانتظار وما فيه من عار ، وأخيرا أبتلع غصصى وأقترب منها لاحملق فى الفراغ ، وقد أسالها بمنتهى اللطف عما أعجبها ، فتصيح فى وجهى « وماذا يهمك » فأعض شفتى وأصمت • وتتفطن الى خطئها فلا تعتذر وانما تستبد وتتعنت •

واذا دعوتها الى السنما قاطعتنى بالرفض ، وألح فى الدعوة فتلح فى الرفض ويغزونى الغضب فتطيع ، وتسير معى مرحبة حتى اذا مازال عنى الغضب عادت الى التمرد • وما ان نستقر فى مجلسنا حتى تشرع فى التافف والتأوه الى ان يعمينى السخط فأخسر من جوانب عدة : فلاأنابكبريائى المداسة • ولا أنا بدراهمى المبذرة ، ولا أنا بالمشهد أحرم منه • وأخرج مقسما على عدم دعوتها الى السنما مهما عشت ، وبعد أسبوع أعود الى الدعوة ، وتعود هى الى الرفض ، وتعاد المسرحية على صورة أخرى ، أطرف ، وأمر ، وأحلى •

ويسخطنى تلاعبها ، ويغيضنى مزاحها ، فأدعوها الى محاسبة النفس • وأهدد بالقطيعة ، وأحضر الغائب ، وأذكرها بما اتفقنا عليه • واستنجد بفلاسفة العالم أجمعين ، وأبين لها خطورة الموقف ، فتستمع الى بدهشة ، أو تدير لى ظهرها محتجة على أن كل ما أقوله خطأ محض • ونتفق على نسيان الماضى ، ونلتزم بقبول تقارير جديدة ، وتقع بيننا هدنة آنية ، ولكنها سرعان ما تنسى ما اتفقنا عليه ، وتشهر الحرب من جديد ، وتستعمل اسلحة حديثة وأتظاهر بعدم الاكتراث ، وأتجمل بالصبر ، ولكن مسالمتى لا تزيدها الا تعنتا، فتتعسف فى كل شىء ، وعندها أثور بدورى ، ويشهر كلانا الحرب على صاحبه علانية • وما اسرع ما انهزم ، فأنا أحب هذه المرأة الصغيرة ، وللحب فى مذهبى معان لا يعرفها غيرها • وأفلسف هزيمتى ، وأكسوها ثوب الانتصار ـ

والعلاقات مشتركة بين الجلاد والضحية ـ ونستقبل الاكاليل على صعيـــد التحابب ، ولكن تحاببنا لم يضع حدا نهائيا للقضية ·

وما أكثر ما فارقت المرأة الصغيرة على الا أعود اليها أبدا ، وما أكثر ما كتبت لها الرسائل النارية أعلن فيها عن الاخفاق وأندب فيها الرجاء وأهدد بالقطيعة ، وما أكثر ما تعمدت حمل هذه الرسائل بيدى ، ولكن مجرد مرآها يبدد كل ازورار ، ويذهب بكل شحناء ، فنتصافى ونتناغى ، ولو فتشتنى لعثرت على ما هو جدير بالاعتبار ·

وما أكثر ما أقسمت بأغلظ الايمان على تركها تصلى نار الانتظار ، وتتقيأحمم الغيرة ، وأتعمد الابتعاد عن حيث القاها فيظلم العالم فى وجهى وأتيه عن الواقع فأسرع الى حيث القاها بشوق أعظم وبلهفة أقوى وكأن دهرا مضى لم أر خلاله المرأة الصغيرة · وعندما ابرز امامها اضع برقع الغضب ، وبعد التحية تبدأ المعركـــــــــــة ·

والمرأة الصغيرة خبيثة فى حدود أنوثتها ، فهى تعرف ما أحب وما أكره وهى تعرف اعتقادى فى التعارف ، ومعاداتى للكذب ، وهى تصر على معاكستى فلا تحب الا ما أكره ، ولا تكره الا ما أحب · وهى لا تتوانى عن تحقير معتقدى وعن تسفيه أقوالى ، وهى تكذب على كذباتها الصغيرة التى زعزعت أركانى وقضت على معالم ثقتى فيها ، وهكذا أصبح غيابها يغيضنى ، هكذا أيضا عظمت لهفتى عليها فأصبحت لا أصبر على مرآها فى مواعد محددة · وقد تتكلـــف التأخر فأثور · وقد تتعمد التغيب فأجن · ثم هى لم تترك فى حياتى مقدسا الا عبثت به ، ولم يسلم من شرها عزيز على · وهى ترفض لمجرد الرفض ، وتأمر لمجرد القاء الاوامر ، وهى تتناقض مع نفسها ومعى آلاف المرات · وأنا انسان بسيط جدا ، لى أفكارى ومعتقدى ومطامحى ، وأنا انسان تعود عـــلى الجمود ، وأنس الى الرتابة ، فأصبحت المرأة الصغيرة العنصر الوحيد الحى فى حياتى ، وياالها من حياة محمومة حافلة بالاحداث الى حد أن الاسابيـــع لبست ثياب القرون ، والى حد أن الايام ضاعت من حيث لا أدرى ·

والمرأة الصغيرة طيبة جدا ، فهى ملاذ اذا وقع لى مكروه ، وهى عزاء اذا نزلت على نازلة ، فاذا مرضت أضربت على الاكل ، وأرهقت نفسها بالسهر ، وتحملت من المشاق فى سبيلى ما لا يتحمله غيرها · ولكن العلل ناصبتنى العداء وما كان لذلك بان يحل قضيتى ·

وخطر لى أن أشنع بالمرأة الصغيرة ، فجمعت أصحابى ، وطرحت عليهـــم قضيتى · ولا شعوريا وجدت نفسى أمجد المرأة الصغيرة ، وأحقر من نفسى

ولما انتهيت من التنديد بصاحبتي الصغيرة ، تنهدوا اجمعين وقال أفصحهم : « ما أسعدك بامرأتك الصغيرة » • ولكن اعجاب أصدقائي بما قلته عن المرأة الصغيرة لم يحل قضيتي معها ، فبقى الصراع هو هو ، وبقيت الحيرة على حالها

انى أعرف قضيتي مع هذه المرأة الصغيرة تمام المعرفة ، فغيابها يسخطني وقدومها يزعجني ، والحل الوسط عدم • وأنا ضائع أفكر في هذه القضية بالليل وأنام بالنهار ، واذا فكرت جمعت الاصفار ، واذا نمت أزعجتني الاحلام•

وفى احدى الليالى خطر لى أن أضع حدا نهائيا لقضيتي مع هذه المرأة الصغيرة ، فذرعت الحجرة ذهابا وايابا عدة مرات ، وجلست الى مكتبي بارتخاء كالفلاسفة ، ووضعت رأسي بين يدى ، ثم مزقت شعري وفركت عيني بأصابعي ، واكتشفت أنى لا أحب المرأة الصغيرة وانما أغار عليها ووجود الغيرة فى مذهبي لا يبرهن على وجود الحب كما هو معلوم عند الآخرين ، وانما يدل دلالة قاطعة على انعدامه ، فالحب عطاء والغيرة أنانية وأشياء أخر • وبحثي عن المرأة الصغيرة لا أنشد من ورائه مسرة اللقيا وفرحة الرؤيا ، وانما أنشد من ورائه طمأنة الضمير ، وتغزلي بها لا يكشف عن عاطفة سيالة مع الكلمات ، وانما أقصد من ورائه التكبيل والتقييد • وفي الحقيقة أنا انسان غيور تعذبني أقل الهواجس وتذهب بعقلي أسخف التخمينات • وفي حقيقة الحقيقة أنا انسان طغت عاطفته على حجاه وما كان ذلك الا بعد مسيرة نظرية ذهبت بعقلي أو كادت وما يسيرني فى الوجود احساس غامض لا أدرك معناه •

وعذبني الاكتشاف ، وأحسست كأنما أطعن بقسوة ، فاستنجدت بما نام من قواى الذهنية ، وأبرقت لما أحفظ من أقوال المتفلسفين • واستعددت لمجابهة الفكرة كل الاستعداد • أنا لا أريد أن أفند ما وصلت اليه أيام التفلسف ، فالحق والباطل كلمتان لوثتهما الافواه ، وانما أحب أن أطمئن على محبتي لامرأتي الصغيرة • والحق أن الشك بدأ يداخلني•••وبعد مسيرة لا بأس بها ، لم أقنع نفسي بأني أحب المرأة الصغيرة ، وانما تفطنت الى كون سعادتي فى قضيتي ، وقضيتي رهينة امرأة صغيرة ولطيفة ، ولكنها صعبة ، تهوى الصراع وتقول باعتزاز عظيم ••• أنا التحدى ، وأنا التمزق » •

ح• و•

ندوة القراء

حول « ماجد والشاعرية الحق »

بقلم : المنصف الوهايبى

لاحظ السيد البشير بن سلامة فى العدد الاخير من « الفكر » أن الاهتمام بالادب التونسى من قصة وشعر ظهر بصورة أجلى وأوضح فى الايام الاخيرة ٠

وقد كانت « الفكر » أول من احتضن هذا النشاط الادبى فطالعنا فى العددين الرابع والخامس دراسة قيمة عن « جعفر ماجد والشاعرية الحق » للسيد ابراهيم بن مراد ٠ حاول أن يبين فيها طبيعة العمل الشعرى عند ماجد بدراسته دراسة تحليلية نفسية تحدد أبعاده ومكوناته وعناصر التأثير فيه ٠ ذلك أن النقد الادبى بدأت تسيطر عليه المذاهب الفلسفية ذات الطابع العلمى فلم يعد يخضع للمقاييس الادبية فحسب بل تسربت اليه نظريات من علوم الجمال والنفس والتاريخ والاجتماع ٠

لقد اعتمد بن مراد اذن فى دراسته لشاعرية ماجد مبدأ التحليل النفسى فى الادب ٠ فحاول بعد أن استشف احساس الشاعر الصادق تجاه بيئته القيروانية وما كان لها من أثر فى نفسه ، أن يرجع ظاهرة اهتمام ماجد بالمرأة الى كبت نفسى سيطر على الشاعر عند خيبته فى حبه الاول ٠

وقد أثبت علم النفس أن « وظيفة الكبت هى منع النزعات النفسية من السير فى طريقها الطبيعى وهذا المنع لا يقضى على النزعات النفسية ٠ فهى تظل قوة متحفزة للظهور ولكنها تبقى مع كل هذا مختفية فيما يسمى باللاشعور » ٠

ولاحظ بن مراد أن الشاعر عاش على اليتم عصاميا يجاهد قسوة الحياة ، ومع ذلك لم يتفطن الى أننا نكاد لا نجد فى الديوان صدى للحالات المضطربة التى عاشها ماجد فى بداية حياته ٠ فبماذا يمكن أن نعلل ذلك ؟

وبعد أن تمعن بن مراد فى الصفحات الباريسية واستنتج أنها كانت

مرحلة حاسمة من مراحل حياته الشعرية برزت فيها مأساة تمزقه الذاتى التى لم تنته به الى يأس ذريع ، حاول أن يتبين أثر الصدق فى تجربته الشعرية ٠

فأكد أن الصدق يتفاوت لدى ماجد : فهو فى تجربته الفردية أوفر منه فى التجربة الجماعية ٠ فى حين أننا لو تمعنا فى القصائد التى وردت فى « مذكرات فى السياسة والمجتمع » والتى قال عنها بن مراد انها نجوم خابية اللمعان باهتة اللون ، لتبينا أن الشاعر لم يفرضها على نفسه فرضا وأنها لا تتناقض البتة مع تجربته الفردية ذلك أن الشاعر « كثيرا ما يعكس بصره ـ أراد أم لم يرد ـ الى داخل نفسه ليرى فى مرآتها العالم الخارجى المنعكس فيها ، وهو اذ يصف ذلك العالم لا يصفه كما يراه منعكسا فى مرآة نفسه ٠ وهذه المرآة النفسية لا بد أن تلون الى حد ما ذلك العالم الخارجى بلونها الخاص بوعى من الشاعر أو بغير وعى ٠ وكل ذلك على اختلاف فى النسب يرجع الى طبائع الشعراء ومقدار الحساسية الموجودة من مرآة كل نفس » ٠

فجعفر ماجد لا يصف مأساة « هيروشيما » كما يراها فى العالم الخارجى بل يصفها كما يراها منعكسة فى مرآة نفسه بوعى منه أو بغير وعى ٠

ثم إن بعض الغربيين المحدثين أكد أنه يكتب ليعرف لماذا يكتب ٠ أى أن الغاية من كتابته لا تتضح له إلا بعد الفراغ منها ٠ فعندما يكتب ماجد قصيد « صقلية » أو « هيروشيما » أو « لوممبا » تكون الكتابة بالنسبة اليه غاية فى ذاتها أى أنه لا يضع أمامه هدفا مرسوما وإلا أصبحت قصائده عملا فكريا واعيا ٠

ثم يأتى دور الناقد فينظر فى الأثر الادبى فيدخله إما ضمن الأدب الملتزم أو ضمن الادب الذاتى الوجدانى ٠

ولست أدرى لماذا يحاول بن مراد أن يدخل على الأثر الفنى مقاييس الصدق والكذب فى حين أن هذه المقاييس لا يمكن أن تصبح كما يقول مندور مرادفة للتجربة الشخصية أو انعدامها ٠ فهل من حقنا كقراء أن نطالب الشاعر بأن يعيش كل تجربة يصوغها صياغة فنية ؟

هل من حقنا مثلا أن نطالب دستيوفسكى وهو يحلل مشاعر المحكوم عليه أن يعيش هذه الحالة ؟

لا أعتقد ذلك ٠ فالاديب يمكنه عن طريق تجربته الخيالية أن يعيش التجارب التى لا تسمح له ظروف الحياة بأن يحياها ٠ فقد لا تواتى الفرصة جعفر ماجد لكى يعيش كل تجاربه الجماعية ومع ذلك يمكن أن يعيشها عن طريق الخيال ٠

فاذا نجح فى تصورها جعلنا ذلك من قبيل قوة الخيال عنده ولا نسميه صدقا فى التصور ٠

واذا فشل جعلنا ذلك من قبيل ضعف المخيلة عنده اذ لم تمكنه من تجسيم التجربة الجماعية كما ينبغى ٠ ونحن لا ندخل على ذلك مقياس الكذب والتصنع المفتعل ٠

ويناقض بن مراد نفسه حين يجعل جعفر يكون صورته الشعرية نسقا لفكرة كامنة فى أعماق « البؤرة » التى يمتزج فيها الشعور بالمخزون اللاشعورى ٠ ويقول فى موضع آخر إن أنفاس الفن للفن بادية آثارها فى كثير من قصائد ماجد ٠ فى حين أن البرناسية والفنية تريدان أن تجعلا الشعر غاية فى ذاته لا وسيلة للتعبير عن الذات ٠ وقد قامتا على معارضة الرومانسية التى تمثل مذهبا ذاتيا يعرض فيه الشاعر أفراحه وأتراحه ٠

ثم لماذا يعمد بن مراد بطريقة خفية الى تأكيد أن الشاعر لا يمكن أن يكون صادقا إلا فى تجربته الفردية وينكر عليه أن يتناول المشاكل الجماعية ٠ فيقول فى دراسته «لصمود بين ألوانه القديمة والجديدة» (السنة 13 ــ العدد 8 ــ ماى 68) : « أين هو العالم الشعرى الصافى الهادىء المريح الذى تغمره أمواج الحياة والحب والجمال من هذا العالم الذى تتنفس فيه المداخن وتفجر آلات المصانع فى أحشائه براكين وزلازل » ويواصل قائلا : « ٠٠٠ فرسالة الشاعر أن يطير بالناس على بساط من الريح ليحملهم الى عوالم الجمال الخفية ومتى عرفوها صفت حياتهم وانقشعت غيومها » ٠

ويحاول بن مراد أن يؤكد فى دراستيه لماجد وصمود أن الشاعر لا ينبغى أن يكون « كمصلحة للتعاونيات تمون الناس بالفحم والزيت والدواء ولا تهتم إلا بمعد الجمهور وجهازه الهضمى » ٠

وكأنه يدعو بذلك دعوة خفية كلا من صمود وماجد الى الاقتصار على تجاربهما الفردية الذاتية ٠ فيقول عن جعفر إنه يفرض نفسه على الشعر فى تجاربه الجماعية ويود لم يجعل جعفر « مذكرات فى السياسة المجتمع » ضمن ديوانه « نجوم على الطريق » ٠ كما يأسف لتحول صمود فى ألوانه الجديدة ٠

فى حين أن الشاعر لا يستطيع أن يعى ذاته إلا اذا حدد وجودها من المجتمع٠

وهنا أسأل السيد بن مراد : هل من حق الناقد أن يطالب الأدباء بتناول موضوعات معينة دون غيرها من الموضوعات ؟

هل من حق السيد بن مراد أن يفرض على الشاعر الكتابة فى مواضيع

تتماشى مع ذوقه كناقد · كأن يدعو ماجد وصمود الى الاقتصار على التغنى بمشاعرهما الخاصة ؟

فى حين كان على السيد بن مراد أن يتساءل : هل استطاع ماجد وصمود باضفائهما صفة الشمول على تجاربهما أن يخرجا بأكثر انطواء ، من حدودها الذاتية الضيقة الى حيث حركة الانسان العامة ؟

على أن السيد بن مراد استطاع أن يبين بطريقة تحليلية طبيعة العمل الشعرى التى تتمثل فى مكوناته وعناصر التأثير فيه · كما تمعن فى عملية الابداع الفنى ملاحظا أنها تخضع لتشكيل مكانى وتشكيل زمانى يتمثل فى الاطار الموسيقى للقصيدة وفى اعتبار اللغة أداة زمانية · ويندمج التشكيلان فى عملية واحدة فتكون الصورة الشعرية ·

كما لاحظ السيد بن مراد أن الشاعر يكون صادقا فى اختياره للشكل الذى يضع فيه قصائده · أى أنه يختار الاوزان التى تناسب حالته الشعورية · على أنه لم يتفطن الى أن الوزن كما أكد ذلك عز الدين اسماعيل لا يحمل أى دلالة خاصة · فيمكن للشاعر مثلا أن يعبر فى وزن واحد عن انفعالات مختلفة ·

فقصيد ماجد عن « القيروان » (البحر المتقارب) :

حنوت عليك حنو الصبى وبحت بشوقى فلا تعتبى

يشع منه اخلاص تجاه الارض التى انبتته وبهجة تتمثل فى حبه العميق للقيروان ·

وقصيده الاخير « تقولين » (البحر المتقارب) :

تقولين لى يا حبيبى فماذا تقولين لى بعد هذا النداء

نحس فيه بحزن الشاعر تجاه هذه المرأة التى لم تخلص له ·

فالشكل القديم فى الشعر العربى لا يمكن أن يحمل دلالة خاصة · فى حين أن الشعر الجديد المتمثل فى الحر والمنثور تخضع صورته الموسيقية لحالات الشاعر النفسية ومعاناته الحقيقية ·

وعلى كل فقد استطاع السيد بن مراد أن يدرس شاعرية ماجد دراسة تكاد تكون مستوفاة ، فبين طبيعة العمل الشعرى عند ماجد وخصائصه الفنية وأكد لنا أن صاحب « نجوم على الطريق » شاعر « وما أقل الذين يصدق وصفهم بهذا النعت ! » ·

م· و·

الشعر الغزلي ومناه الرجعية

بقلم : الطيب الرياحي

يقول الفيلسوف الفرنسي « هنري برجسون » : « الوجود يعني التغيير ، والتغيير يعني النضج ، والنضج يعني الإستمرار في تجديد الذات وخلقها إلى ما لا نهاية » بمثل هذا القول أبدأ مناقشتي لمقال بعنوان : « الشعر الغزلي في الميزان » للأخت فضيلة الشابي تفضلت بنشره مجلة الفكر في عددها الخامس ، فيفري 1969 وقد حاولت فيه الكاتبة الرد على « تحمسي للشعر النضالي » ورفضي للشعر الغزلي بلغة مهذبة وروح نقدية واعية وتجرد كامل مما جعل المقال يختلف كثيرا عن الردود والمقالات السابقة التي خاضت نفس الموضوع ... وتقول الاخت أن الذي دفعها إلى إبداء وجهة نظرها هو « الغلو الذي لمسته في مناداتي بهذا الشعر النضالي وبضرورة التخلي عن الشعر الغزلي » وهي لعمري ملاحظة وجيهة لا يمكن لي التنكر لها والتخلص منها ... ولعل مرد ذلك الغلو الذي اصطبغت به قصائدي هو الظرف الذي قيلت فيه ، إذ أنني كتبتها جميعا على فترات متعاقبة كنت فيها تحت تأثير موضوع واحد وفكرة واحدة الامر الذي جعلني أكتب بحرية كاملة وأفرغ مشاعري التي كانت كالخيل المكبوتة التي أطلق سراحها فاندفعت تركض في كل الإتجاهات ... أقول هذا بكل صراحة ملفتا نظر الاخت إلى أنني لست ممن تستهويهم المدارس الادبية كما قالت ولا أنتمي ولن أنتمي لواحدة منها فأنا من هذه الناحية متسكع لي مبدئي الخاص واتجاهي الخاص ومواقفي الخاصة

مِن كلّ مَا يجري حولي ويَجِدّ في عالم المادّة ... وأنا كَمُتَسَكّع أدبي لم يَعُدْ يُرْضِينِي بقاءُ الشّاعر العربي في ميدان الذّاتيّة مُخَدّرا « بِرُضابِ الغيد » أو « مُقَبِّلا أقدامَهُنّ في العَوْدِ وَفِي الرّحيل » أو « مُبْحِرا في عُيُونِهِنّ » ... لَمْ يَعُدْ يُرْضِينِي ركوعُ الشّاعر أمام الجنس أوْ تَكَالُبُه عليه ... لم تَعُدْ تُرْضِينِي المناجاة والسُّفْسُطائية والعَبَثُ والزّيْف ... لم تَعُدْ تُرْضِينِي الرجعيّة ...

ولستُ أجهلُ « أنّ الادب اتجاه وليس توجيها » ولكنّ عَصْرَنَا عَصْرَ العلم والتكنولوجيا يفرضُ علينا توجيه العواطف الخسيسة كما تُوَجَّهُ الآلات وتعديلها تماما مثلما يفعل رئيس الدّولة عندما يُوجِّه الفرد الوجهة الصّحيحة النّاجعة ويُرْشده سواءَ السَّبيل إذا ما لاحظ خَلَلا في تَصرّفاته داخل المجموعة ... وَلْتَعْلَمْ الاخت فضيلة الشّابي والقارىء الكَريم بصفةٍ عامّة أنّ اتجاهي هذا مِنْ أعْمَالِ السُّخْطِ والتحدّي للعواطف البالية والكليشيهات الجاهزة..

ثمّ هو رفض لِوضعٍ تاريخيّ وِراثيّ لم يَعُدْ يَتَلاءمُ مع الواقع الحياتي للفرد ومَا يَتَطَلَّبُهُ هذا الواقع من يَقظة تَامّة وعَمَل انتحاري مُتواصل حتّى يُغَيِّرَ مَا به تغييرا جِذْريا ويُدْرِكَ حقيقة الحضارة الّتِي لاَ يُمكنُ لها أنْ تقوم في عَالمنا العربي إذا بَقِي الوَرَمُ الجنسي يَنْهشُ حياتنا وجماجمنا » كما يقول نزار قبّاني فِي ديوانه الاخير « يوميات امرأة لا مُبالية » هذا الشاعر الإنسان الّذي غَيَّرَ اتجاهَهُ تَماما إثْرَ هَزيمة 5 يونيو 1967 وأصبح عَمَلُهُ يَتمثّلُ في التّفتيش عن مَوَاطِنِ الدّاء في جسم الإنسان العربي ؛ ولقد اتّضح له فيمَا بعدُ أنّ الجنس « أكبرُ هُمُومنَا على الإطلاق » ولذَا وَجَبَ علينا « أنْ نَكْسِرَ خُرافَةَ الجنس والنّظر إلَيْه نَظرة حضاريّة

وعلميَّة » وفي رأيه أنَّه « لن يُكتَبَ لنا النَّصر أبدا مَا دَام فِكْرُ الرَّجُل العربيّ يَمْضَغُ كَالجمَل غلافات المجلاّت العارية ويعتبر جَسَدَ المرأة مَنطقة من منَاطق النُّفوذ والغزو والفتوحات » ... أَلَيْسَ من الإستهانة بِوُجُودنَا أنْ نَبقى نقول الشعر الغزلي و « نَتَفَنَّن » في تَجْميله حتَّى يحفر أعصابَ العميَان ويزيدهم عَمًى على عَمًى ... الإنسَان العربي مُتخلِّف جدًّا مهمَا أَدَّعَى المدنيَّة والتَّقدّم ومهما أُقيمَ فِي بلاده من معامل ... الانسان العربي بحاجة إلى إصلاح نفسه وتعديل عواطفه قبل أنْ يمسك الفأس ويدخل المنجم ... الإنسان العربي بحاجة إلى قتل الشعر الغزلي وقتل الرَّجعيَّة فيه ...

هذه نَزعتي مُنْطَلَقُهَا الواقع ومحورُها الإنسان وَهَدَفُهَا سعادته ... وهذا مَوقفي من الشعر الغزلي الَّذي لم تَعُدْ لهُ أيَّةُ فائدة فِي عصر الآلة ... الشعر الغزلي ذلك « البنج » الَّذي مَازال يَسْتَعْمِلُهُ البعض لتخدير الاعصاب ... وهي نزعة وموقف خلقتْهُمَا الفترة التَّاريخيَّة الحاسمة الَّتي يَمرُّ بها الإنسان العربي ... وإذا نَاديتُ بالشِّعر النضالي وبضرورة التخلِّي عن الشِّعر الغزلي فليس مَعْنَى ذلك أنَّ الشِّعر النضالي قادر على توفير الخبز للجياع ولا هو خاتم سحريّ بإمكان الرَّجل العربي أنْ يُديره « فتصبّ المطر بالكسكسي والعصبان » لا والله وإنَّما قدرته تَتَجَلَّى في الدَّفع والحثّ على القضاء على الجوع والامراض النفسيَّة واستئصال الطحالب الحقيرة من الارض حَتَّى نضمن للأجيال العربيَّة المقبلة الحياة ورَغَدَ العيش ...

وقد ختمت الاخت فضيلة الشَّابي مَقَالَهَا بتعريف للأدب هو منْ أدقّ مَا قرأت إذ تقول : « وما الادب إلاّ سَبْرٌ للاعماق وتنبُّوء » ، ولستُ أدرى لمَاذا أقدمت الاخت الكَريمَة على مُعَارضَة اتجَاهي وهي تُؤمن بهذَا كُله وتُؤمن بأنّ الخلق الادبي « مقدرة على تجاوز الحدود وتمزيق الحجب » ... الله أعلم ..

ط. ر.

أضواءُ الفِكر

◆ **الشعر التونسى فى مجلة « الكتاب » العراقية :**

تحدثت مجلة « الكتاب » العراقية فى العدد الثالث من السنة الثانية 1969 عن ديوانين لشاعرين تونسين هما « نجوم على الطريق » لجعفر ماجد و « حنين » لزبيدة بشير وورد عن ديوان « نجوم على الطريق » ما يلى :

« شاعرنا من أسرة مجلة « الفكر » التونسية الذى قرأنا له إنتاجه عندما كانت تصل العراق (*) ولعله من أبرز شعراء تونس الذين وصلنا إنتاجهم فقد ظهرت على شعره الرقيق ثقافة واسعة وراض المعانى العربية بأسلوب ممتاز وقد تكاثرت فى شعره الصور التى نرى من خلفها أجواء أوربا وحياة الغرب ، ولم تنسه حياة الغرب حياة وطنه وأمته فى حضارتها العريقة وإرثها الغزير • كما فى قصيدته فى صقلية وقد ساهم فى شعره مساهمات انسانية لا أشك فى أنها ستخلد شعره » •

وجاء فيما يخص ديوان « حنين » :

« عرف العراق الشاعرة فى مؤتمر الأدباء وتركت أثرا جميلا فى نفوس الأدباء والكتاب فى بغداد وديوانها « حنين » فيه ذاتية عميقة الجذور مع أصالة شعرية ممتازة وعاطفة وجدانية دفاقة وجرأة قلما نجدها عند شواعر العرب للاعراب عن مشاعرها وأحاسيسها ، وقد امتاز شعر الشاعرة بجودة الأسلوب ، ورقة العبارات ، وخيال عاطفى حبيب الى النفس يدفعها اليه جمال الشباب وعرام الأمل وجموح الخيال وهذه مظاهر قوة شخصية المرأة التونسية واعتزازها بنفسها كانثى •

فى المجموعة نوعان من الشعر الذى التزم وزنا واحدا والشعر الحر وقد أجادت فى النوعين إجادة ظاهرة » •

نشكر مجلة « الكتاب » على عنايتها بالانتاج التونسى ونتمنى أن ينمو اتصال الادباء فى العراق بالكتاب التونسى والمجلات التونسية •

(*) نحن نأسف لعدم تمكن الشركة التونسية للتوزيع من ضمان وصول المجلة وترويجها •